

جامعة اكي محند أولحاج

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

تخصص: تاريخ وسيط.

العنوان:

ابن حزم، آراءه ومنهجه، ومذهبه الفقهي

(384هـ - 456هـ).

إشراف الأستاذة:

• رشيدة شكري معمر.

من إعداد الطالبة:

• نسيلة ناجي.

السنة الجامعية: 2014م/2015م.

شكر

لابدّ لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد...

وقبل أن نباشر هذا البحث، نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذتنا الأفاضل...

"كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحبّ العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم."

وأخص بالتقدير والشكر: الأستاذة المشرفة: رشيدة شكري معمر، التي أقول لها بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الحوت في البحر، والطير في السماء، ليصلون على معلم الناس الخير."

أتوجه لها بخالص الشكر والتقدير.

إلى من علمنا التفاضل والمضي إلى الأمام، إلى من راعانا وحافظ علينا، إلى من وقف إلى جانبنا عندما ضللتنا الطريق.. كل من الأساتذة الكرام: الأستاذ سعيد جلاوي، مصطفى أوكيل، نسيم حسلاوي.

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر الذي لا تستحقه إلا أنت صديقتي العزيزة نوال. أيضا أتقدم بكلمة حب وتقدير وتحية وفاء وإخلاص لكل من: دليلة وفيروز.

إهداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة

سائله فأضفر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي التي لم تبخل عليّ يوماً بأيّ شيء وإلى أبي الذي زودني بثقته ومحبته.

أقول لهم: أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الإطلاع والمعرفة وإلى أسرتي جميعاً.

إلى من علمني النجاح والصبر، إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها، من علمني وعانى الصعاب لأصل ما أنا فيه، وعندما تكسوني الهموم، أسبح في بحر حنانه ليخفف من آلامي: كمال عباس.

ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سناً برقه يضيء الطريق أمامي.

مقدمة

مقدمة:

يعد ابن حزم - رحمه الله - من كبار رجال الجدل المشهورين بمناقشتهم الجدلية ومساجلاتهم الكلامية مع أهل الفرق الأخرى من أشاعرة، ومعتزلة، وشيعة، وغيرهم، وكذلك مع أصحاب العقائد الأخرى من يهود، ونصارى، وملحدين، ومشركين، ودليل ذلك ما خلفه لنا ابن حزم من مؤلفات مشهورة في هذا الميدان، مثل كتاب "الفصل" الذي يعتبر من أعظم ما ألف من الكتب الجدلية، والذي أهله - رحمه الله - لأن يعده علماء الغرب بأنه مؤسس علم مقارنة الأديان.

ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت ابن حزم من الناحية التاريخية والفقهية، بحيث يمكننا القول أنه يُعتبر موضوعا مهما للمناقشة والمجادلة، وكذا استسلام الباحثين المتأخرين لأحكام المؤرخين على شخصيته العلمية، من ناحية. ومن ناحية أخرى، أثارت إعجابنا شخصية هذا العالم الموسوعي الجليل علي ابن حزم الأندلسي، والذي يعدّ من أكثر علماء الإسلام تأليفا وتصنيفا، فقد خلف وراءه مكتبة موسوعية ضخمة ضمت مجلداتها كثيرا من أنواع العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخية، والأدبية، والطبية، بل والإنسانية التي خاضت في أعماق النفس وسرائرها، مثل رسالته: "طوق الحمامة".

وهذا الموضوع تطلب مناّ طرح إشكالية مهمة تمثلت فيما يلي: ما مضمون المذهب الظاهري الذي جاء به ابن حزم؟ وكذا العديد من التساؤلات الجانبية الأخرى منها: ما هو المنهج الذي انتهجه ابن حزم في تفسير القرآن؟ ما هي أبرز آرائه ومواقفه من مسائل الخلاف الكلامية؟ ما موقفه من الفرق الإسلامية الأخرى؟ وما هي عقائد وخصائص مذهبه الفقهي؟

هذه بعض الأسئلة التي نسعى للإجابة عنها من خلال هذا البحث، آملين بأن تكون إجابتنا وافية وشاملة له، مما استوجب علينا رسم الخطة التالية:

فصل تمهيدي، معنون بعصر الإمام ابن حزم، وتمهيد له، لنتلوه بالفصل الأول الذي يتحدث عن حياة الإمام ابن حزم، ويتضمن ثلاث مباحث، أولها: مولده ونشأته وحياته، به مطلبان: المطلب الأول: مولده ونشأته، والمطلب الثاني: أسرته وحياته. ثانيها: مساره العلمي، وبه مطلبان كذلك: المطلب الأول: شيوخه وتلاميذته، والمطلب الثاني: رحلاته العلمية. والمطلب الثالث: مؤلفاته العلمية. وثالثها: مكانة ابن حزم العلمية، به مطلبان هو الآخر: المطلب الأول حول مؤيديه، والمطلب الثاني حول معارضييه.

أما الفصل الثاني بعنوان آراء ومنهج ابن حزم وموقفه من الفرق الإسلامية، يتضمن ثلاث مباحث كذلك، أولها: حول آرائه ومنهجه، به مطلبان: المطلب الأول: آراء ابن حزم، والمطلب الثاني: منهج ابن حزم في تفسير القرآن، ثانيها: حول أشهر مسائل الخلاف الكلامية وموقف ابن حزم منها، ثالثها: حول موقف ابن حزم من الفرق الإسلامية.

في حين أن الفصل الثالث أسميناه بمذهب ابن حزم الفقهي، خصائصه وعقائده، ومثله مثل الفصلين السابقين، يحتوي على ثلاث مباحث: أولها: مذهب الفقهي، ثانيها: خصائص المذهب الظاهري، ثالثها: عقائد المذهب الظاهري.

وخاتمة البحث بخلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها.

وكان لا بد لنا من الاستعانة بمجموعة من المصادر، أهمها: كتاب الفصل في الملل و الأهواء و النحل لابن حزم، الذي يتحدث فيه عن آراء الفرق الإسلامية ومذاهبها كالمعتزلة والشيعة

وغيرها من الفرق الإسلامية، وقد جاءت دراسة متعمقة في هذه العقائد والفرق وعلى هذه الطبعة تعليقات مفيدة تخدم الموضوع. تميز هذا الكتاب عن أمثاله في ذات المباحث والمواضيع بجرأة تامة في النقد وحصافة في الفكر ومناقشة أفكار الفرق ونقضها .

وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، وهو الكتاب الذي لا يستغنى عنه دارس الثقافة والفكر الأندلسيين والذي يعد أحد أقدم الكتب الأندلسية ظهوراً للنور، وهو موسوعة تاريخية مهمة في دراسة التاريخ و الأدب و الجغرافيا الخاصة بالأندلس و جاء هذا الكتاب على جزأين، جزء يتحدث عن الأندلس و المدن الأندلسية و سكانها ووصف مناخها و تحديد أراضيها، ووصف سكان الاندلس و حبهم للعلم و الأدب و سلوكياتهم و خصوصياتهم الاجتماعية الذي بلغوه في مجال العلوم و الأدب، و الجزء الآخر عن أخبار الوزير ابن الخطيب.

وكتاب " العواصم من القواصم" للقاضي أبي بكر العربي، الذي بسّط لنا نقده حول المدارس والمذاهب ومنهجية التدريس فيها. و يدافع فيه أيضا عن الصحابة ويذكر مناقبهم وكراماتهم، فسمى الدعوة "قاصمة" والرد عليها "عاصمة".

أما المراجع المهمة والمعتمدة بكثرة في البحث، نذكر كتاب ابن حزم حياته وعصره- آراؤه وفقه لمحمد أبو زهرة، وهو كتاب جامع لمناحي الفكر عند ابن حزم وخاصة التوجيه الفقهي. وكذا كتاب ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي و الحضاري لعبد الحليم عويس، شمل الإنتاج الفكري عند ابن حزم، وتقييما لجهوده. وفي وجهة نظر كثير من الباحثين والمهتمين

أن هذا الكتاب من أفضل ما ألف عن سيرته حيث جمع بين الاستقراء والتتبع لحياة ابن حزم وآرؤه ونشأته...الخ.

أما عن المنهج المتبع في بحثنا هذا، فهو المنهج التاريخي السردى الاستدلالي، الذي يتلاءم ويتناسب مع طبيعة الموضوع المختار.

وقد تعددت الدراسات حول موضوع ابن حزم، نذكر منها:

_ رسالة ماجستير للطاهر بن علي، بعنوان: ابن حزم وظاهرة التجديد، تحت إشراف الأستاذ: موسى لقبال، من كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، بجامعة الجزائر، للسنة الجامعية: 2001-2002.

_ رسالة دكتوراه، من إعداد عبد السلام سعد، بعنوان: ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين، تحت إشراف عليش لعموري، من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، للسنة الجامعية: 2008-2009.

وغيرها من الدراسات التي تناولت مختلف الجوانب، غير أن موضوعنا تضمّن جانباً مختلفاً عنها، بحيث اهتم بالجانب الفقهي، ومذهبه، وأهم آراءه فيه.

وكل الباحثين، واجهتنا بعض الصعوبات، من بينها وجود التصحيف (الأخطاء) في بعض كتب ابن حزم المطبوعة، خاصة في أسماء الرواة، وكذا الترجيح بين الأقوال في المسائل التي فيها خلاف بين العلماء، تطلب منا مزيداً من البحث للخروج بنتيجة. وكذا عامل الوقت الذي داهمنا، ولم يكن في صالحنا. وغيرها من العراقيل التي لم تزدنا إلا عزيمة وإلحاحاً على مواصلة البحث وتقديمه في أحسن صورة.

وفي الأخير نحمد الله ونشكره على نعمته التي أوصلنا إليها، والأستاذة المشرفة التي لم تبخل

عليّ بنصائحها وإرشاداتها.

الفصل التمهيدي:

عصر الإمام

ابن حزم

الفصل التمهيدي:

إن أهمية الأندلس وشمال إفريقيا لا تقتصر في رأينا على مجرد كونها طريقا لانتقال الفكر العربي الإسلامي لأوروبا ولا أكثر من ذلك، فالأندلس وشمال إفريقيا (أو الغرب الإسلامي) كان لهما دورا هاما في إحياء وتطوير الفكر الإسلامي، سواء في بداية نشأة الفكر العربي في الغرب الإسلامي، أو في المشرق الإسلامي. هذا إنجازات هي في حد ذاتها إضافة بارزة للفكر الإسلامي العربي ففي الحياة السياسية يعد تاريخ دولة الإسلام في الأندلس من أطول وأخصب دول الإسلام عمرا وعبرة، وأبلغها عظة، وأكثرها دروسا وفوائد، فقد امتدت دولة الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون مرت خلالها الأندلس بمراحل وأطوار، بين قوة وضعف، ووحدنة وتفرق.⁽¹⁾

مرحلة الفتح (92هـ - 138هـ):

وفيهما فتحت الأندلس سنة 92هـ على يد أبطال الفتح الأوائل موسى بن نصير، وطارق بن زياد عبد العزيز بن موسى بعد معارك هائلة مع قوات القوط، فأصبحت الأندلس ولاية إسلامية تابعة للدولة الأموية، "غير أن النصارى آووا إلى ركن حصين في جنبها، فكان ذلك الركن كالشوكة في جنب الدولة، وحيث المسلمين لم يستأصلوه في قوتهم؛ فقد كان هؤلاء النصارى للمسلمين بالمرصاد، فإن رأوا فرصة انتهزوها للنيل من المسلمين".⁽²⁾

قيام الدولة الأموية عصر الازدهار (138هـ - 238هـ):

(1) عبد الرحمان الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط3، دار القلم، دمشق 1987م، ص 47، 120.

(2) محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة 1978م، ص 92.

وفي هذه المرحلة توحدت الأندلس تحت قيادة واحدة، وأصبح لها قائد واحد هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالداخل، أو صقر قریش، وقد استطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس الدولة الأموية من جديد ببلاد الأندلس، وقد كان مبدعا ذكيا، فقد دخل الأندلس طريدا غريبا وحيدا، فتمكن بصبره، وثباته وعزيمته، وبإذن الله أن يضع لبنة أعظم دول الإسلام مجدا، وقد قام الداخل بالعديد من الأعمال الكبيرة من أجل الحفاظ على دولة الإسلام الوليدة من أهمها: قمع محاولات الصليبيين من الفرنسيين والإسبان في الهجوم على الأندلس ثم أوجد حالة من الاستقرار والبناء والازدهار سنة 170هـ، فأسس مسجد قرطبة والذي ظل لفترة طويلة مسجدا قبل أن يحول إلى كنيسة.⁽¹⁾

عصر التدهور الأول (238هـ - 300هـ):

لقد تعاقب على حكم الأندلس ثلاثة من الأمراء وهم محمد بن عبد الرحمن (238هـ - 273هـ)، والمنذر بن محمد (273-275هـ)، وعبد الله بن محمد (275-300هـ)، واتسم هذا العهد بكثرة الفتن، والاضطرابات، وكثرة الخارجين عن السلطة المركزية، حيث كون العرب دويلات داخل الدولة الأموية: دولة بني حجاج في اشبيلية وكونها أبناء قبيلة لخم اليمنية، وقد بنى إبراهيم بن حجاج هذه الدولة على منوال الدولة الأموية من قصر إمارة، وبلاط، وحاشية وحراسة، وجيش.⁽²⁾

عودة القوة وإعلان الخلافة (300هـ - 386هـ):

وقد حكم هذه المرحلة رجالان لا غير، أولهما: عبد الرحمن الناصر، وهو ثامن أمراء بني

(1) موقع الجمعية الإسلامية كتاب. <http://www.arabandalucia.com/index.php/1699>

(2) عبد الرحمن الحجى، المرجع السابق، ص 163. انظر: طاهر بن علي، ابن حزم وظاهرة التجديد، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001م - 2002م.

أمية، وهو أقوى وأفضل من حكم الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل، وكان من حظ الأندلس أن دامت ولايته خمسين سنة نست ما أصابها من الشدائد، فقد أعاد خلالها الهيبة والقوة لدولة الإسلام بالأندلس، وقضى على الأخطار الداخلية⁽¹⁾ المتمثلة في الإمارات المستقلة، فأعاد الجميع للدولة الأم، أما الخطر الخارجي والمتمثل في العدوان الصليبي القادم من الشمال، فقد أبدى الناصر قدرة فائقة في التصدي لكل المحاولات التوسعية من جانب الإسبان، وظل يواجههم حتى أن دان له الجميع بالتحالف تارة، وبالإجبار تارة أخرى،⁽²⁾ وكان عبد الرحمن الناصر هو أول من أعلن نفسه خليفة شرعياً من أمراء الأندلس، وكان ما دفعه لذلك ظهور الدولة الخبيثة العبيدية الفاطمية بالمغرب، وقد تلقب حكامها بالخلفاء، وهم يطمعون في الاستيلاء على العالم الإسلامي بأسره، بما في ذلك الأندلس، وكانت الخلافة العباسية وقتها تمر بحالة صراع على السلطة، وضعف شديد بسبب تسلط الأتراك عليها، ومن أجل ذلك أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة للمسلمين في رمضان سنة 316هـ، ومن أبرز أعمال الناصر الحضارية، والعمرانية: بناؤه لمدينة الزهراء سنة 325هـ.⁽³⁾

وثانيهما: الحكم بن عبد الرحمن الذي تولى الحكم بعد أبيه، وتلقب بالمستنصر، وكان محباً للعلم والعلماء، وقد ورث دولة قوية، ثابتة الأركان من أيام أبيه، فتفرغ للعلم وقراءة الكتب، وحرص على شرائها من شتى بقاع الأرض، وكان يرسل للعلماء من كل الأمصار، ويستقدمهم إلى قرطبة التي

(1) عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص 298.

(2) المقري التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت 1998م، ج1، ص 284-285.

(3) عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص 303-304.

تحولت إلى منارة وجامعة عالمية من كثرة ما قصدها من العلماء، وقد جمع الحكم من الكتب ما لم يجمعه أحد قبله من الملوك، والتي تقدر بأربعمائة ألف مجلد.⁽¹⁾

عصر الدولة العامرية (366هـ - 399هـ):

بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن تولى الأمر بعده ولده الوحيد هشام الملقب بالمؤيد، وفي عهده ولد الإمام ابن حزم، وقد كان (المؤيد) حدثا صغيرا لا يصلح لهذا المنصب، مما جعل الطامعون والثائرون الذين خنست أطماعهم أيام الناصر والمستنصر⁽²⁾، يبدؤون عهد المؤيد بمحاولة الانقلاب عليه وخلعه، وهنا يظهر على ساحة الأحداث شخصية من أواسط الشعب الأندلسي، وهو محمد ابن أبي عامر الملقب بالمنصور والذي يعد بحق من أعظم الشخصيات الأندلسية، وكان ظهوره - رحمة من الله - وإنقاذاً لأمة الإسلام في الأندلس، وقد قام بالعديد من الأعمال الجليلة لنصرة دولة الإسلام منها إفشال محاولة الانقلاب على الخليفة الصبي المؤيد وتولييه زمام الأمور بعدما رأى عجز المؤيد عن الاضطلاع بأعباء هذا المنصب الخطير، فتولى المنصور أمر الوزارة، وقضى على الفساد الإداري الموجود بدواوين الحكم، وعزل الوزراء المشكوك في نزاهتهم، وقضى على مظاهر الانحراف والفسق التي بدأت تستشري في الدولة، كما أعاد تنظيم الجيش على أدق صورة، وبكيفية تقضي على العصبية القبلية التي مازالت راسخة في الصدور، رغم المحاولات المستمرة على مر العصور لسحقها.⁽³⁾

(1) عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط1، دار الاعتصام، القاهرة 1979م، ص 36.

(2) الحكم المستنصر بالله (302هـ - 366هـ) تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، و ثاني خليفة بعد أبيه عبد الرحمان الناصر... انظر: عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص 303.

(3) موقع الجمعية الإسلامية كتاب <http://www.arabandalucia.com/index.php/1699>.

بلغت حملات المنصور الجهادية اثنين وخمسين معركة لم يهزم فيها قط، حيث اتبع سياسة الهجوم الكاسح، وعدم الهوادة أو المسالمة، فكسر بذلك شوكة صليبيي إسبانيا لفترة طويلة استمرت نصف قرن من الزمان، وبهذا أحيا الحمية الإسلامية في قلوب الأندلسيين الذين دب الترف واللين فيهم، وكذلك أحاط المنصور نفسه بعدد من رجالات الأندلس النابهين، واعتمد عليهم في بناء دولته، وكان من هؤلاء والد ابن حزم الذي كان متكلماً وفيلسوفاً، حيث استوزره المنصور عام 381هـ.⁽¹⁾

و بهذا استطاع المنصور أن يؤسس لنفسه سلطانا،⁽²⁾ حيث بلغت الأندلس في عهده أوج قوتها، وكان عهده بحق هو العصر الذهبي للأندلس، ثم آلت الأمور بعد المنصور إلى ولده المظفر، فجرى في الغزو والسياسة مجرى أبيه، وفي عهد المظفر كانت أول تجارب ابن حزم في المجتمع الأندلسي، حيث استمر والده وزيرا للمظفر وقد اصطحب ابنه علي إلى حفل استقبال أعده المظفر بمناسبة عيد الفطر، وكان عمر ابن حزم آنذاك 12عاما، و قد كانت أيام المظفر أعيادا دامت سبع سنين إلى أن مات،⁽³⁾ وبوفاته انقلبت أفراح أهل الأندلس أتراح، ووقعت الأندلس مرة أخرى في العصبية المقيتة التي كانت السبب الأول لانتهيارها ، وتشردت الدولة الأم لعدة دويلات صغيرة، يقود كل دويلة متغلب أو طامع لا يبالي إلا بمصالح نفسه وعائلته،⁽⁴⁾ وهذا مهد السبيل لمرحلة هي الأسوأ والأخطر في تاريخ الأندلس تمثلت في:

(1) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 19.

(2) محمد الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984م، ص131.

(3) نفسه، ص 132.

(4) موقع الجمعية الإسلامية كتاب <http://www.arabandalucia.com/index.php/1699>

سقوط الخلافة الأموية (399هـ - 422هـ):

تولى فيها حكم الأندلس عددا من الخلفاء الأمويين يزيد عددهم على عدد كل من تولى الحكم منذ قيام الأندلس، حيث ضاعت هيبة الخلافة، وانقسمت البلاد مرة أخرى وبرزت العصبيات والقبلات المقيمة أكثر مما سبق، وظهرت لأول مرة فكرة الاستعانة بنصارى إسبانيا، الذين وجدوا في ذلك فرصة ذهبية للنيل من المسلمين، ومن هؤلاء محمد بن هشام الملقب (بالمهدي)⁽¹⁾، وسليمان بن الحكم الملقب (بالمستعين)⁽²⁾. ولما كان والد ابن حزم وزيرا للمنصور، ثم لابنه المظفر من بعده، كان من الطبيعي أن يتأثر الابن (علي بن أحمد) بحياة أبيه، ومن هنا دخل ابن حزم الحياة السياسية في فترة اتسمت بالاضطراب، وكثرة الانقلابات، والإطاحة بالحكم واغتيالات الأمراء، والحكام، ويصف ابن حزم -رحمه الله- تلك الفترة قائلا: ثم انتقل أبي -رحمه الله- من دورنا المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة، وانتقلت أنا بانتقاله في جمادى الآخرة ستة تسع وتسعين وثلاث مئة ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء أرياب دولته، وامتحننا بالاعتقاد والترقيب⁽³⁾ والاعرام الفادح والاستتار، وأرزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا إلى أن توفي أبي الوزير -رحمه الله- ونحن في هذه الأحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنين وأربع مئة، واتصلت بنا تلك الحال بعده⁽⁴⁾. و في هذه الفترة تولى ابن حزم الوزارة ثلاث مرات:

(1) محمد المهدي بالله (366هـ - 400هـ)، الحاكم الحادي عشر، والخليفة الرابع للدولة الأموية في الأندلس.
(2) أبو أيوب المستعين بالله (354هـ - 407هـ) الحاكم الثاني عشر والخليفة الخامس للدولة الأموية في الأندلس.
(3) الترقيب: هو الترتيب والرائد للشيء الراقب له وبابه نصر وراصدا أيضا بفتحيتين والرائد محتار الصحاح.
(4) ابن حزم، طوق الحمامة في الألفه والآلاف، تح: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص 154.

الأولى: كانت للمتريزي، وعلى ثأر اغتياله دخل ابن حزم السجن، والثانية: كانت للمستظهر 12 سنة اغتيلاً ووقع ابن حزم في الأسر والثالثة: كانت للمعتد بالله سنة 418هـ، وهذا كان الخليفة الأخير الذي وزر له ابن حزم، وهو آخر عهده بالسياسة، فلم يعمل بها بعد ذلك أبداً واتجه إلى العلم ودروسه⁽¹⁾ وبموت المعتد بالله سنة 422هـ أعلن وزيره أبو حزم بن جهور انتهاء الخلافة الأموية وسقوطها لعدم وجود من يستحقها، وأنه سيحكم الدولة جماعة من الوزراء على نظام شبه جمهوري. وبانتهاء هذه الفترة انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة، واستقل كل أمير بمقاطعته وأعلن نفسه ملكاً عليها، ودخلت الأندلس النفق المظلم الذي لم تخرج منه بعدها أبداً⁽²⁾ وقد تمثل هذا في:

عصر ملوك الطوائف (422هـ-483هـ):

بحيث لم تكد الخلافة الأموية تسقط حتى تبعثر عقد الدولة الأم، وانقسمت إلى دويلات صغيرة، وتقاسم العرب والبربر والصقالبة أوصال الأندلس، وقد حكم تلك الفترة العصبية نحو عشرين أسرة مستقلة،⁽³⁾ ومن أشهر ملوك الطوائف ما يأتي:

أ- دولة بني جهور حكمت قرطبة (1031م-1091م).

ب- دولة بني عباد في اشبيلية (1013م-1091م).

ج- دولة بني زيري في غرناطة (1013م-1090م).⁽¹⁾

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ط3، دار الفكر، بيروت 1980م، ص 237.

(2) عبد الرحمن الحجى، المرجع السابق، ص 323-324.

(3) نفسه، ص 324-328.

وقد تميز هذا العصر بسمات عدة، أدت في جملتها إلى انحراف وجرح غائر في جسد الأمة الأندلسية، لم يندمل قط حتى بعد السقوط، من هذه السمات:

1- حالة الترف الشديد والنعيم المفسد الذي ضرب في كل طبقات الشعب الأندلسي من كبيرهم إلى صغيرهم، ومن غنيهم إلى فقيرهم وما تبع ذلك من ضعف القوى الأندلسية حتى صار رجال الأندلس أنعم من الكواعب الغواني، وأصبح جلهم الرجال والنساء إنشاد الأشعار، والغناء إلى الأسحار، والسعي وراء الأبيكار.

2- اقتتال الدويلات فيما بينهم، وقيام المعارك الطاحنة بين المسلمين بعضهم بعضا من أجل أطماع شخصية ومكاسب مادية لا تساوي عند الله. جناح بعوضة.

3- انتشار عادات مذمومة، مثل شرب الخمر، وظهور نساء الطبقة الراقية سافرات الوجوه بالطرقات، والسرقة التي أخذت شكل العصابات المنظمة.⁽²⁾

- التوسع في مسألة الاستعانة بنصارى إسبانيا في شمال الأندلس، وذلك بسبب كثرة الاقتتال الداخلي بين المسلمين، وقد كان كل فريق من المتنافسين يستعين بإمارة صليبية بعد التنازل عن بعض أملاكه- وهي في الواقع أملاك المسلمين كلهم- للصليبيين مع دفع الأموال الطائلة، وكل ذلك من أجل أن يهزم أخاه المسلم.⁽³⁾

لقد كان ملوك الطوائف ملوكا ضعافا في كل شيء، ضعافا في دينهم، وفي وطنيتهم، غلبت عليهم الأثرة والأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود، ونسوا في غمارها دينهم ووطنهم، بل نسوا حتى الكرامة الشخصية، واستساغوا لأنفسهم أن يتزاموا على أعتاب ملوك النصارى، لا لشيء إلا

(1) عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص 350-355.

(2) نفسه، ص 356-360.

(3) عبد الرحمن حجي، المرجع السابق، ص 416.

لهوى من اقتطاع بلد أو حصن من جاره المسلم، ناهيك عن كونهم طغاة مع رعيتهم مستبدين في منتهى القسوة مع فرض بالمغارم والضرائب، وفي هذا يقول الإمام ابن حزم الأندلسي والذي عاصر هذا العهد ورأى ما كان عليه ملوك الطوائف فكتب بقلمه اللاذع يقول " والله لو علموا أن في عبادة الصليبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصرارى فيمكنهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم، يحملونهم أسارى إلى بلادهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه وقد استجاب الله. لدعوة ابن حزم الأندلسي فسلط عليهم يوسف بن تاشفين".(1)(2)

الحياة الاجتماعية:

لغة أهل الأندلس:

يزخر المجتمع الأندلسي بعناصر مختلفة جمعها المكان، فمنهم العرب الخالص وهم الذين كان لثقافتهم ولغتهم ولأخيلتهم السلطان الكامل، لذلك كان للأندلس مظهر أدبي وفكري واحد، وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن، وكان فيهم البربر الذين يتميزون بحدة الطبع والنفرة الشديدة،

(1) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني (410هـ-500هـ)، ملك الملثمين، أمير دولة المرابطين في المغرب، كان يخطب لبني عباس، أول من دعى بأمر المسلمين، بنى مدينة مراكش سنة 465هـ جاء بجيش معظمه من البربر عبر البحر لينتقل الأندلس بعد أن استجد به المعتمد بن عباد ملك قرطبة وحقق انتصارا هائلا على الصليبيين في معركة الزلاقة في 12 رجب 479هـ وهي المعركة التي أجلت سقوط الأندلس أربعة قرون، شمل سلطانه المغرب الأقصى والوسط وجزيرة الأندلس، كان حازما ضابطا لمصالح مملكته، ماض العزيمة معتدل القامة، أسمر اللون نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصوت، عاش تسعين سنة ملك مدة خمسين سنة، توفي سنة 500هـ رحمه الله تعالى.

(2) موقع الجمعية الإسلامية كتاب. <http://www.arabandalucia.com/index.php/1699>

ولذلك كانوا وقود الفتن وموقديها، على الرغم من هذا إلا أن البعض منهم تهذبت طباعه وأرہفت أحاسيسه، فكان منهم إنتاج أدبي رائع، الذين اعتنقوا الإسلام من سكان البلاد الأصليين، كذلك حملت غزوات جنوب فرنسا طائفة من الجواري الحسان، كان لهن شأن في الحياة الأدبية في الأندلس،⁽¹⁾ كما إن اللغة العربية صارت لغة يهود الأندلس بها يتكلمون ويفكرون ويكتبون، وقد كان للغة القرآن الكريم الدور البارز في صياغة الوجه الأدبي والحضاري الأندلسي، حيث انصهرت كل هذه المجموعات، وأنتجت مجتمعا أندلسيا رائعا ومميزا.⁽²⁾

فضل أهل الأندلس:

يقول المقري: "ذكر ابن غالب في كتابه فرحة الأنفس في فضائل الأندلس والأندلسيين: أهل الأندلس عرب في الأنساب، والعزة والأنفة، وعلو الهمم وفصاحة الألسن، وطيب النفوس، وإباء الضيم، والسماحة بما في أيديهم، والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنيا، هندیون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم، ونباهتهم وذكائهم، ونفوذ خواطرهم، يونانيون في استخراجهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم البساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، وهم أصبر الناس على مطاولة التعب وفي تجويد الأعمال، أحذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب".⁽³⁾

(1) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 104.

(2) خالد الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ط1، دار الأرقم للطباعة والنشر، غزة 2000م، ص 212.

(3) المقري التلمساني، المصدر السابق، ج4، ص 4.

كما اشتهر الأندلسيون بالاحتياط وتدبير المعيشة والمروءة، ويقول صاحب نفع الطيب في ذلك: " وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال، فلذلك قد ينسبون إلى البخل، ولهم مروءات على عادة بلادهم، لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظامه"⁽¹⁾، كما أن الأندلسيين نبذوا ظاهرة التسول وحاربوها حيث يقول المقرئ: "وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد في الأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر"⁽²⁾.

و في كل ما سبق ذكره اشتهرت قرطبة حاضرة الأندلس التي يقول فيها المقرئ أيضا: "ومن مظاهر الحياة في قرطبة وهي إحدى مدن الأندلس، ظرف اللباس، والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أواني الخمر حينما تقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر بأصالة البيت والجنسية والعلم، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، صار ذلك من آلات الرياسة حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزنة ليقال: فلان عنده خزنة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره"⁽³⁾.

وقد اعتبرت المرأة في الأندلس عنصرا مهما في المجتمع حيث برزت عدة نساء في مجالات العلوم المختلفة شرعية منها وغيرها، فكان منهن العالمات والأديبات والشاعرات فالشعر يجري على ألسنة النساء كما يجري على ألسنة الرجال، بل لقد كان من الجواري الشاعرات عددا كثيرا، كان من

(1) نفسه، ص 3.

(2) نفسه، ج 1، ص 181.

(3) المقرئ التلمساني، المصدر السابق، ج 2، ص 8.

بينهن من يجدن العلوم، ويتكلمن فيها كلام المتخصصين المتفرغين لها،⁽¹⁾ وقد تأثرت المرأة اليهودية بهذه الأجواء مما جعلها تتحرر من قيود الشريعة اليهودية المهينة والتي تمنع المرأة من التعلم في المدارس، فنجد على سبيل المثال أن أبا قسمنة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة.⁽²⁾ وقد أكد عبد الحليم عويس أن هذه المكانة المرموقة للمرأة كانت قبل عصر ملوك الطوائف غير أن هذه المكانة امتهنت في عصر الطوائف باسم الفن، حيث كانت قصور الأثرياء مثوى لفنون الغناء، والرقص والموسيقى، وما يدخل في بابهما من صور الترف، حيث كان هؤلاء الأثرياء يتنافسون في اقتناء الفتيات الحسان البارعات في العزف والغناء، ويبذلون في ذلك الأموال الطائلة.⁽³⁾

التقسيم الطبقي في المجتمع الأندلسي:

لقد كان المجتمع الأندلسي ينقسم إلى ثلاث طبقات وهي: الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا، ففي مدينة قرطبة كانت هناك أحياء ثلاثة مخصصة للطبقة العليا، وهي الرصافة، والزاهرة، والزهاء، أما بقية الأحياء فكانت للطبقتين الوسطى والدنيا. وتقوم عظمة قرطبة الحقيقية على أهل الطبقة الوسطى المكونة من الصناع، والعمال، والطلاب، وصغار الفقهاء، والموظفين والكتاب.⁽⁴⁾

وقد لوحظ وجود اختلاط فيما بين الطبقات سواء بالمصاهرة أو التبادل التجاري وغيره، ومن الملاحظ أن الوضع الاجتماعي يتأثر بشكل مباشر بالوضع السياسي فقد مرت الأندلس بمرحلة

(1) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 108.

(2) خالد الخالدي، المرجع السابق، ص 228.

(3) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 46.

(4) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 45.

نهوض منذ الفتح الإسلامي إلى سنة أربعمائة هجري، إذ وصفت بحسن هوائها وكثرة خيراتها وتبحر عمرانها، إلا أن هذا النهوض لم يستمر طويلا، ولا شك أن الوضع الاجتماعي كان له أثر في نفس ابن حزم وفي فكره، فقد كان من آثاره في نفسه أن اجتمع فيه جفوة اللفظ أحيانا مع رقة الطبع، وكان لذلك المجتمع أثره في تفكيره، فقد اتخذ منه مادة للدراسة والتحليل والموازنات، وإن رسالتيه (طوق الحمامة) و(مداواة النفوس) مملوءتان بنتائج دراساته النفسية لذلك المجتمع الذي كان يمجج بالعناصر المختلفة.⁽¹⁾

الحياة العلمية:

امتاز عصر ابن حزم بانبهار الحياة العلمية بالرغم من اضطراب الأحوال السياسية، حيث نشطت حركة الترجمة في أواخر القرن الثالث والرابع الهجريين لأنواع من العلوم اليونانية، فظهر الفلاسفة كابن رشد، وابن باجة، وغيرهما، وامتاز الحكام الأمويون بقربهم للعلماء والأدباء والشعراء، وأجزلوا لهم العطايا، مما نشط الحركة العلمية، وجعل كثيرا من العلماء المشرقيين ينتقلون إلى بلاد المغرب والأندلس، وخاصة في عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم الذي أنشأ المكتبات، وأحضر الكتب التي ظهرت في المشرق، والتي كانت بدار بني مروان، حيث بلغ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعاً وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت إليه بضائعه من كل قطر، حتى اجتمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله، ولا من بعده، وبقيت محفوظة حتى سنة 403هـ، وهو وقت الفتنة التي اجتاحت قرطبة، فنهب هذه المكتبة، وتناثرت في أيدي الناس إلا أنها لم

(1) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 112.

تحرق بنار ولم تغرق بنهر وقد اطع ابن حزم على هذه المكتبة الضخمة مما أثرى من ثقافته في شتى العلوم التي كانت نتاج عصره.⁽¹⁾

وقد استمر الازدهار العلمي في عصر ملوك الطوائف بالرغم من الاضطرابات السياسية وفساد الحياة الاجتماعية، فإن كل عاصمة من عواصم الملوك تمتعت بمميزات لم تتعم بها غيرها حسب قدرة كل ملك، فأخذ يجتذب لعاصمته من الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء.⁽²⁾

وقد كان قسم من هؤلاء الملوك أدباء وشعراء، فقامت للأدب سوق رائجة ونشطت حركة التأليف بشكل رائع أخذ، ولكن هذه الفترة لم تخل من الاضطهاد للعلماء وخاصة ما تعرض له ابن حزم من الإقصاء من مكان إلى مكان، حيث استقر به المقام في قرية صغيرة لايؤمه فيها إلا صغار الطلبة، وقد كانت أحرقت كتبه في اشبيلية، ومزقت علانية.⁽³⁾

فقال ابن حزم -رحمه الله- عندئذ:

" فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

يسير معي حيث استقلت ركائبي

وقولوا بعلم كي يريى الناس من يدري

دعوني من إحراق رق و كاغد

فكم دون ما تبغون الله من ستر".⁽⁴⁾

وإلا فعدوا في المكاتب بدأة

(1) نفسه، ص 101.

(2) محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1982م، ص411.

(3) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج12، ص 249.

(4) شمس الدين الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار

الكتاب العربي، بيروت، ص 416. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج12، ص 253.

وتجدر الإشارة إلى أن الأندلس كانت قبل دخول المسلمين إليها ضعيفة من الناحية الثقافية، وقد اعترف غالبية المستشرقين الإسبان بذلك مؤكدين على أن الأندلس لم تعرف أي ازدهار علمي حقيقي سابق على مجيء الإسلام، وأن الازدهار العلمي والفلسفي الذي عرفته الأندلس أقرب أن يكون استمرارا لما كان في المشرق، يؤكد ذلك القاضي صاعد قائلا: "الأندلس قبل ذلك، في الزمان القديم كانت خالية في العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به ... ولم تنزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون".⁽¹⁾

(1) سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1986م، ص 257.

الفصل الأول:

حياة الإمام ابن حزم.

المبحث الأول: المولد والنشأة.

المبحث الثاني: مساره العلمي.

المبحث الثالث: مكانة ابن حزم

العلمية.

الفصل الأول: حياة الإمام ابن حزم.

المبحث الأول: المولد والنشأة.

اسمه:

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن أمية جده يزيد أول من أسلم من أجداده وجدته خلفا أول من دخل الأندلس مع موسى بن نصير وقيل مع صقر قريش.⁽¹⁾

لقبه:

ابن حزم الظاهري⁽²⁾، القرطبي، الأندلسي، اليزيدي⁽³⁾، الفارسي، الأموي.

نسيبه:

اختلفت أقوال العلماء في نسب ابن حزم على قولين رئيسيين:

1- أنه فارسي الأصل وأن جده الأقصى في الإسلام يزيد مولى أبي سفيان و جده تولوا الخلافة أول ما دخل الأندلس.⁽⁴⁾

2- أنه أندلسي الأصل و قد ذكر حسان محمد حسان أن المؤرخ الأندلسي ابن حيان قال: " فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة⁽⁵⁾ من عجم ليلة⁽⁶⁾ جده الأدنى حديث عهد بالإسلام"، وهذا ادعاء لا دليل عليه خصوصا من عدو لدود، و خصم عنيد لابن حزم، وقد قال بذلك بعض المستشرقين مثل

(1) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدباءهم، ط2، مكتبة الحانجي، القاهرة 1994م، ص 395.

(2) نسبة إلى أصحاب الظاهر و هم جماعة ينتحلون مذهب داوود بن علي الأصبهاني صاحب الظاهر وهم يجرون النصوص على ظاهرها، انظر: السمعاني، الأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م، ج4، ص 99.

(3) نسبة إلى يزيد، وهو اسم رجل في أجداد المنتسب إليه. انظر: نفسه، ج5، ص 691.

(4) محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 290-291. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج12، ص 235.

(5) الأرومة: الأصل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، ج1، ص 65.

(6) ليلة: مدينة بالأندلس القديمة قرب اشبيلية. انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر، بيروت، ص 555.

دوزي، وجولد تسيهر، ونيكلسون، بروكلمان، ربما لتعصبهم لغريبتهم منهم على العرب أن يكون بينهم عباقرة، وللأسف تابعهم في ذلك بعض.⁽¹⁾

المحدثين العرب مثل د. إبراهيم الحارذلو⁽²⁾، ود. طه الحاجري⁽³⁾، وأحمد هيكل ويعقوب زكي، وجميعهم اعتمدوا على نص ابن حيان المعروف بمعاداته لابن حزم وقدحه له، وكذلك بسبب انبهارهم بكل ما يصدر عن الغربيين حتى وإن كان قدحا في كرامة العرب والمسلمين. والصحيح أنه فارسي الأصل قرشي بالولاء ومما يؤيد هذا قول ابن حزم فيإحدى قصائده:

سما بي ساسان⁽⁴⁾ دارأو بعدهم قريش العلي أعياصها والعنابس⁽⁵⁾

فما أخرجت حرب مراتب سؤدي ولا قعدت بي عن ذوي المجد فارس⁽⁶⁾

كما أن ابن حزم الأعراف بنسبه خاصة أنه يعد من أكبر علماء النسب، فقد ألف كتاب جمهرة أنساب العرب.

كذلك ما كان ابن حزم بحاجة إلى ادعاء نسب يزدهي به وقد ازدهى بحليتين هما العلم والجاه بين الناس، كما إن نسب الإنسان لا قيمة له في مكانة العبد عند ربه.⁽⁷⁾

وقد أيد نسبة ابن حزم الفارسية كل من تلميذه الحميدي وصاعد المعروفين بالتقوى والورع فضلا عن موافقة المؤرخين كالمقري وابن بشكوال وابن خلكان وياقوت الحموي والذهبي وابن حجر في أنه فارسي الأصل.

مولده:

(1) حسان محمد حسان، ابن حزم عصره ومنهجه وفكره التريوي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1965، ص 32-35.

(2) إبراهيم الحارذلو، التوراة واليهود في فكر ابن حزم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1984م، ص 43.

(3) طه الحاجري، ابن حزم صورة اندلسية ط1، دار الفكر العربي للطبع و النشر، القاهرة، ص136.

(4) ساسان: اسم كسري وكنيته أبو ساسان.

(5) أعياصها والعنابس: كان لحرب بن أمية عشرة أولاد أربعة يسمون الاعياص وأعياص قريش أي كرامهم وستة يسمون العنابس والأسد يقال لها العنابس وكان من العنابس أبو سفيان الجد الأعلى لابن حزم. انظر: ابن حزم، جمهرة الأنساب، تح: عبد السلام هارون، ط4، دار المعارف، القاهرة 1977، ص 78-79.

(6) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 23.

(7) نفسه، ص 25. انظر: عبد السلام سعد، ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2008م-2009م.

حدد الإمام ابن حزم -رحمه الله- مولده بطريقة التعيين التي لا شك فيها حيث يقول القاضي صاعد⁽¹⁾: "كتب إلي ابن حزم بخطه يقول: ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي من ريبض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الفجر آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم وهو السابع من نوفمبر سنة أربع وثمانين وثلاث مائة".⁽²⁾

نشأته:

عاش ابن حزم في بيت له ثراء وجاه وله سلطان في الدولة، حيث توفيت والدته فكفلته نساء القصر، وعلمنه الكتابة والقرآن والشعر، وبعد أن اشتدَّ عوده التزم في مجلس أبي القاسم الأزدي ويقول ابن حزم في ذلك: " لقد شاهدت النساء، وعلمت أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني رُبيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيرا من الأشعار ودرينني في الخط،⁽³⁾ ويقول أيضا: " كنت في نار الصبا، وشره الحداثة وتمكين غزارة الفتوة مقصونا محظرا على بين رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت، صحبت أبا علي الحسن بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي زيد الأزدي شيخنا وأستاذنا. وكان أبو علي المذكور عاملا عالما ممن تقدم في الصلاح، والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا، والاجتهاد في الآخرة، وأحسبه كان حصورا، لأنه لم تكن له قط امرأة وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا فنفعني الله به كثيرا وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي، ومات أبو علي -رحمه الله- في طريق الحج"،⁽⁴⁾ لهذا نراه قد تخلق بالأخلاق العالية منها العفة، والشرف والأمانة، كذلك الصدق، وبغضه الشديد للكذب، والنميمة، حيث يقول: " والنميمة فرع من فروع الكذب، ونوع من أنواعه وكل نام كذاب، وما أحببت كذابا قط، وإني لأسامح من إخاء كل ذي عيب وإن كان عظيما وأكل أمره إلى خالقه آخذ ما ظهر من أخلاقه، حاشى من أعلمه يكذب فهو عندي ماح لكل محاسنه، مذهب لكل ما فيه، فما أرجو عنده خيرا أصلا، وما رأيت قط ولا أخبرني من رأي كذابا وترك الكذب ولم يعد، ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة إن لا أطلع له على الكذب، فحينئذ أكون أنا القاصد إلى مجانبته".⁽⁵⁾

(1) هو القاضي صاعد بن أحمد الجيلاني الأندلسي المتوفي سنة 462هـ صاحب كتاب طبقات الأمم، وجميع من ترجمة لابن حزم عيال عليه في تعيين تاريخ ولادته وكثير من أخباره. انظر: يوسف فرحات، الأحاديث المسندة في كتاب المحلى لابن حزم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، قسم الحديث، غزة 1999.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 396. انظر: الحميدي، المصدر السابق، ج2، ص 291.

(3) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 80.

(4) نفسه، ص 180.

(5) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 86-87.

بدأ أبوه يصحبه إلى المجالس العامة، فيأخذه إلى مجلس المظفر ابن أبي عامر الزاخر بالعلماء والشعراء، فنرى ابن حزم يتذوق الشعر على صغر سنه، هكذا نشأ هذا العالم الجليل في جو يسوده العلم والمعرفة حيث كان أبوه من أهل العلم والأدب والبلاغة،⁽¹⁾ إلا أن النكبات التي حلت بابن حزم من وفاة زوجته التي أحبها، ثم وفاة والده الذي رعاها، وكذلك تهجيرها عن قرطبة التي نشأ فيها وأحبها كل ذلك أثر على نفسية ابن حزم، ولقد وصف ذلك بقوله " ثم انتقل أبي-رحمه الله- دورنا المحدثه بالجانب الشرقي من قرطبة في ريبض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة، وانتقلت أنا بانتقاله في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة، ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتحنا بالاعتقاد والترقيب والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت الفتنة، وألقت باعها، وعمت الناس وخصتنا إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله- ونحن في هذه الأحوال لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنين وأربع مئة، واتصلت بنا تلك الأحوال بعده حيث وقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي من قرطبة، وتقلبت بي الأمور إلى الخروج عن قرطبة وسكن مدينة ألمرية.⁽²⁾

كما أنه -رحمه الله- أصيب بعلة في الطحال، حيث يقول: " لقد أصابتنني علة شديدة ولدت في ربوا في الطحال شديدا، فولد ذلك علي من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر، والنزق أمرا جاشت نفسي فيه إذا أنكرت تبدل خلفي واشتد عجبني من مفارقتي لطبيعي، وصح عندي أن الطحال موضع الفرح وإذا فسد تولد ضده ".⁽³⁾

إذن هذه الحرب المعلنة على ابن حزم من الملوك والعلماء، وفقدانه والده وزوجه، والعلّة التي أصابته في الطحال كل ذلك أدى إلى حدة لسانه مع خصومه حتى قيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين، وهذه الأحوال جعلته ينظر إلى الناس نظرة حذر حيث يقول: داء الإنسان بالناس أعظم من دائه بالسباع الكلبة والأفاعي الضارية، لأن التحفظ مما ذكرنا ممكن، ولا يمكن التحفظ من الإنس أصلا".⁽⁴⁾

وفاته:

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ط3، دار صادر، بيروت 1972م، ج3، ص 328.

(2) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 154.

(3) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1979م، ص 71.

(4) طه الحاجري، المرجع السابق، ص 104.

توفي -رحمه الله- يوم الأحد في ليلتين بقيتا من شعبان سنة 456هـ وكان عمره، إحدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.⁽¹⁾

المبحث الثاني: مساره العلمي.

يعد ابن حزم رحمه الله- واحدا من أعلام الحضارة الإسلامية بوجه عام، ومن أبرز علماء الأندلس على نحو خاص، وقد تجلت في شخصيته تلك الظاهرة الموسوعية التي كانت سمة واضحة لدى معظم علماء المسلمين، فقد كتب في الفقه وأصول الفقه والأنساب والتاريخ والمنطق كما كتب في الأخلاق، وقد كان ابن حزم شاعرا وأديبا على درجة عالية من الحس المرهف.⁽²⁾

كما يعد ابن حزم من الأئمة القلائل الذين كتبوا في علم الأديان والنحل والعقائد والنبوات والكتب السماوية والرد على منكري الألوهية ومعتنقي الأديان المخالفة لشريعة الإسلام، فقد كتب في هذا المجال كل من:

1- أبو الحسن الأشعري توفي سنة 330هـ وهو من أوسع العلماء ردا على أهل الأهواء والبدع وهو صاحب كتاب اللمع في الرد على أهل الأهواء والبدع وكتاب الإبانة في أصول الديانة، وكتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين.

2- عبد القاهر البغدادي توفي سنة 429هـ، وهو صاحب كتاب الفرق بين الفرق والملل والنحل.

3- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي توفي سنة 346هـ، وهو صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وكتاب المقالات في أصول الديانات.

4- أبو الريحان البيروني توفي سنة 440هـ، وهو صاحب كتاب تحقيق ما لليهود من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة.⁽³⁾

ويعد كثير من العلماء بأنه واضح وأسس علم مقارنة الأديان، حيث يقول المستشرق جب إن ابن حزم كرم في الغرب باعتباره مؤسسا لعلم مقارنة الأديان، ويصفه الفريد جاليوم بقوله إن باحثا مثابرا كابن

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 396. انظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 290-291.

(2) حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع6، 1988م، ص 605.

(3) محمد الحميدي، المرجع السابق، ص 123-126.

حزم القرطبي قد استطاع أن يحشد قواه ليؤلف أول موسوعة دينية أوروبية، وليكتب أول دراسة على مستوى عال من النقد والترابط حول العهدين القديم والجديد.⁽¹⁾

المطلب الأول: شيوخه وتلامذته:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ ابن حزم -رحمه الله- عدد كبير من العلماء، فأخذ عن بعضهم علوماً كثيرة منهم أبو علي، الحسين بن علي الفاسي الذي قال فيه "ما رأيت مثله جملة علما وعملا، ودينا وورعا ونفعني الله به كثيرا، وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي"⁽²⁾ ويمكن تقسيم شيوخه على النحو الآتي:

أ- شيوخه في الحديث:

ذكر ابن حزم أنه طلب الحديث على سائر شيوخ قرطبة من المحدثين⁽³⁾ ومن أهم هؤلاء الشيوخ:

1- أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي الذي أخذ عنه الحديث والنحو واللغة والجدل والكلام وقد كان أديبا نبيلاً ذكياً، وشاعر مطبوعاً، وكان يقول عنه كان " شيخنا وأستاذي...".⁽⁴⁾

2- يحيى بن مسعود بن وجه الجنة⁽⁵⁾ فهو أعلى شيخ عنده، وأبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور أول شيخ سمع منه ابن حزم سنة 399هـ حيث كان يناهز الثمانين، ولاشك أنه كان عالماً جليلاً حبيب إليه العلم وقربه من العلماء ووضعه على أول الطريق.⁽⁶⁾

3- يونس بن اللبني ربيع التميمي، وعبد الله بن يوسف بن نامي أكثر شيوخه على الإطلاق رواية عنه في كتابه المحلى.⁽⁷⁾

(1) محمد عزة الطهطاوي، من أعلام القرن الخامس الهجري، مجلة الأزهر، ع8، القاهرة 1982م، ص 55، 77.

(2) ابن حزم، طوق الحمامة، 173.

(3) صلاح الدين بسبوني رسلان، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص 24.

(4) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 173.

(5) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 626.

(6) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان 1998م، ص 313.

(7) المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 265.

4- حمام بن أحمد، ومحمد بن سعيد ابن بيان، وعبد الله بن الربيع.⁽¹⁾

ب- شيوخه في الفقه:

1- عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون أستاذه في الفقه، والذي يقول فيه إنه " الفقيه الذي عليه مدار الفتيا في قرطبة ".⁽²⁾

2- أبو الخيار - مسعود بن سليمان مفلت،⁽³⁾ تلقى على يديه أصول الفقه الظاهري.

3- أبو الوليد عبد الله الأزدي المعروف بابن الفرضي، له كتاب المختلف والمؤتلف من أسماء الرجال، لم ير مثله بقرطبة في سعة الدراية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتتان في العلوم.⁽⁴⁾

ج- شيوخه في الأدب:

1- أبو سعيد - الفتى الجعفري- وقد قرأ عليه معلقة طرفة بن العبد مشروحة في المسجد الجامع بقرطبة.⁽⁵⁾

2- أبو الخيار اللغوي.⁽⁶⁾

3- حسان بن مالك بن أبي عبده الوزير من الأئمة في اللغة والأدب.⁽⁷⁾

4- أحمد بن محمد بن عبد الوارث من أهل قرطبة، معروف بابن أخي الزاهد، وهو مؤدب ابن حزم في النحو.⁽⁸⁾

د- شيوخه في الفلسفة:

(1) ابن حجر، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الاسلامية، القاهرة 1423هـ/2002م، ص 198.

(2) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 120.

(3) محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 328.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 285.

(5) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 66.

(6) نفسه، ص 103.

(7) محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 255. انظر: أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روكس المسيحية، مدينة مريط 1884م، ص 255.

(8) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 23.

لقد كانت قرطبة تزخر بطائفة غير قليلة من علماء الفلسفة، وهم جماعة الأطباء، حيث كان الطب يعد شعبة من شعب ثقافتهم، وكان أستاذه وكبير كبرائهم هو:

1- محمد بن الحسن المذحجي⁽¹⁾ المعروف - بابن الكتاني-، تلقى ابن حزم على يديه المنطق والفلسفة وعلوم الأوائل، وقد وصف كتبه في الطب بأنها كتب رفيعة حسان، أما رسائله الفلسفية فيصفها بأنها مشهورة ومتداولة، تامة الحسن، فائقة الجودة، عظيمة المنفعة.⁽²⁾

2- أيضا والده الذي كان متكلمًا وفيلسوفًا وقد توفي والد ابن حزم سنة 402هـ وكان عمر ابن حزم حوالي 18 سنة.⁽³⁾

هـ- شيوخه في التاريخ:

- أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الجسور⁽⁴⁾ قال الحميدي: " وأخبرني عنه، يعني - ابن الجسور- ابن حزم بكتاب التاريخ لمحمد بن جرير الطبري.

- ابن الدلائلي " العذاري ".⁽⁵⁾

- من أساتذته في التاريخ والده أحمد بن سعيد، الذي كان يقص عليه أخبار الدولة العامرية.

لم يكن التخصص الدقيق الفاصل بين أنواع العلوم موجودا، بل غالبا ما كان المحدث فقيها، وباحثا في علم الكلام، ومؤرخا، ومنطقيا، ولغويا، وشاعرا، وبالتالي فالحديث عن تلقي ابن حزم فروعاً دقيقة على كل شيخ من شيوخه على حدة ليس دقيقا، وإنما الأمر مجرد غلبة علم في ميول كل أستاذ من أساتذته.⁽⁶⁾

ثانيا: تلاميذ ابن حزم:

لم تذكر كتب التراجم عددا كبيرا من تلاميذ ابن حزم ويرجع ذلك لتأليب علماء عصره ضده بسبب مخالفته لهم في المذهب، وحدته، وسلطة لسانه في مجادلتهم، وكذلك الاضطهاد السياسي الذي تعرض له، ومما

(1) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 145.

(2) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 84.

(3) نفسه، ص 85.

(4) محمد الحميدي، المصدر السابق، ج1، ص 172.

(5) عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص 68.

(6) نفسه، ص 69.

لاشك فيه أيضا أنه كان موضع حسد من بعضهم لغزارة علمه، لذلك نهوا عوامهم من الإصغاء له، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ومن تلاميذه:

1- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي توفي في بغداد سنة (488هـ).⁽¹⁾

2- ابنه أبو رافع الفضل بن علي بن حزم استشهد سنة (479هـ) في معركة الزلاقة الشهيرة.⁽²⁾

3- علي بن سعيد العبدي توفي في بغداد سنة (493هـ).⁽³⁾

4- شريح بن محمد بن شريح وهو آخر من روى عن ابن حزم بالإجازة (ت539هـ).⁽⁴⁾

5- ابن حزم - عبد الله بن محمد بن العربي (ت493هـ).⁽⁵⁾

6- الإمام أبو بكر - محمد بن الوليد الطرطوشي (ت520هـ).⁽⁶⁾

7- ابنه يعقوب بن علي بن حزم (ت503هـ).⁽⁷⁾

رحلاته العلمية:

المنتبغ لرحلات ابن حزم في طلب العلم يلاحظ:

■ أنها كانت رحلات داخلية، أي في داخل الأندلس، حاشا رحلة واحدة خارجها هي رحلته إلى القيروان في المغرب.

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص 282.

(2) نفسه، ج3، ص 329.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 401.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 229.

(5) ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص 297.

(6) المقرئ التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص 245-249.

(7) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 651.

■ إن رحلاته معظمها رحلات إجبارية، ومع ذلك برز خلالها حرصه على طلب العلم وتحصيله، يقول ابن حزم عن هذه الرحلات: " فأنت تعلم أن ذهني متقلب وبالي مضطرب بما نحن فيه من نبو الديار والجلاء عن الأوطان، وتغير الزمان، ونكبات السلطان، وتغير الإخوان وفساد الأحوال".⁽¹⁾

ويمكن إجمال أهم رحلات ابن حزم فيما يأتي:

أولاً: رحلته إلى ألمرية:

أصبحت قرطبة عام 399هـ مسرحاً للحرب بين الأمراء الأمويين، حيث انتهت منازل أسرة ابن حزم في غربي قرطبة، وراح جند البربر عسكر الفرنجة يفسدون فيها ويسفكون الدماء... حتى قتلوا نحو عشرين ألفاً من أهلها، في هذه الأجواء الخائفة اضطر ابن حزم إلى أن يرحل إلى ألمرية بعيداً عن قرطبة في ضيعة لأهله هناك حيث وجد عدداً كبيراً من الشيوخ ممن هاجروا نأياً بأنفسهم عن مضطرب الفتنة والدمار في قرطبة، وقد لزم ابن حزم هؤلاء الشيوخ وأخذ عنهم العلم، حيث قسم وقته بين حضور الدروس في المسجد والقراءة في البيت، وظل على هذا الحال نحو ثلاث سنوات،⁽²⁾ التقى بإسماعيل بن يونس، مما أتاح له تعلم الكثير اليهودية، ويقول في ذلك: " لقد كنت يوماً بألمرية في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها".⁽³⁾

ثانياً: الرحلة إلى بلنسية:

بسط العلويون سلطانهم على كثير من أقطار الأندلس، فتوجس ابن حزم في نفسه خيفة مما قد يقع له في ألمرية بسبب انتمائه للأمويين، وقد صحت مخاوفه حيث أوقع به والي ألمرية، واتهمه بالتآمر مع صاحب له لإعادة ملك بني أمية، فاعتقله هو وصاحبه شهراً ثم أبعدهما ويصف ابن حزم - رحمه الله- ما حدث فيقول: " ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد وساكناه بها"،⁽⁴⁾ وكان عبد الرحمن هذا من أحفاد عبد الرحمن الناصر حيث ظهر في بلنسية ودعا لنفسه بالخلافة، وقد بادر ابن حزم إلى تأييده والدعوة وقد وقع ابن حزم على كتاب داود الأصبهاني عن مناقب الشافعي فأعجب الأصبهاني وكتابتها، فحاول أن يتتبعه، ولكنه لم يجد في بلنسية ما يغنيه،

(1) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 206.

(2) طه الحاجري، المرجع السابق، ص 82-98.

(3) نفسه، ص 36.

(4) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 118.

فتمنى لو يعود إلى قرطبة بلد العلم والعلماء والمكتبات، خرج ابن حزم مع جيش المرتضى الزاحف إلى غرناطة ولكن الجيش لم يصل، فقد اغتيل المرتضى وهزم جيشه، ووقع هو في الأسر.⁽¹⁾

ثالثا: العودة إلى قرطبة:

بعد أن أطلق سراح ابن حزم من الأسر، اختار أن يعود إلى قرطبة، ليتفرغ إلى العلم بعد أن غاب عنها نحو ستة أعوام، وفي قرطبة وجد كتب داود الأصبهاني كلها فانكب على قراءتها التي تضمنت منهجه الظاهري، الذي يعتمد على القرآن، والحديث، والإجماع مما دفعه إلى ترك المذهب الشافعي وإتباع فقه أهل الظاهر، وتمضي السنين فيستولي على قرطبة ملوك الطوائف، مما اضطر ابن حزم إلى الرحيل عنها.⁽²⁾

رابعا: الرحلة إلى شاطبة:

لقد كان لابن حزم منزل في شاطبة ينزل به كلما أراد استجماما أو طلبا للهدوء والاطمئنان⁽³⁾، وقد كان ينتقل إلى البلاد بين الشاطبة والمرية وقرطبة وبلنسية يدرس ويدرس ويختلج بأرائه وبيانه نفوس الشباب وقد كان له أثر واضح في تفكيرهم.⁽⁴⁾

خامسا: الطواف بين الأرياف:

كان لابن حزم ضياع في أكثر من مكان في ريف الأندلس، فكان يقيم في المدن القريبة من هذه الضياع، ثم يطوف بالعاملين في الأرض يتفقد أحوالهم، وهاله ما هم فيه من الشقاء، حيث يدفعون إيجارا باهظا للأرض فلا يبقى لهم شيء بعد أداء الأجرة للملوك، وهنا أعلن ابن حزم فتواه التي خالف فيها المذاهب الأربعة وقال بأنه لايجوز تأجير الأرض، والتي لم تقنع أحد من الفقهاء أو كبار ملاك الأراضي الزراعية، فحرضوا عليه الأمراء، الذين قاموا بدورهم بالتضييق عليه والاقطاع من أملاكه ومصادرة بعض أراضيه.⁽⁵⁾

سادسا: الرحيل عن الأندلس إلى القيروان:

(1) طه الحاجري، المرجع السابق، ص 103-104.

(2) نفسه، ص 107-117.

(3) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 44.

(4) نفسه، ص 45.

(5) يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 30.

بعد أن طاف ابن حزم معظم ريف، ومدن، والجزر التابعة للأندلس انتقل له إلى حاضرة أخرى من حواضر الفقه والفكر، فركب البحر إلى القيروان، حيث تسربت إليها كتب نادرة من خزائن قرطبة بعد نهبها، وقد ذكر ابن حزم في (طوق الحمامة) رحلته إلى القيروان فقال: "ولقد سألتني يوما أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كوني في المدينة وكان طويل اللسان جدا متقفا للسؤال في كل فن فقال لي: وقد جرى ذكر الحب ومعانيه "إذا كره من أحب لقائي وتجنب قربي فما أصنع؟ قلت: أن تسعى في إدخال الروح على نفسك بلفائه وإن كره". وفي القيروان التقى بكثير من العلماء والفقهاء والمفكرين من أهل المغرب، وهناك استمع إليهم وناظرهم وناظره، وخلال اعتكافه في القيروان كتب رسالة في أسماء الله الحسنى.⁽¹⁾

سابعاً: رحلته إلى ميورقة:

رحل ابن حزم -رحمه الله- إلى مدينة ميورقة بعد أن أرسل إليه أميرها أحمد بن رشيق وكان صديقاً له، فأقام فيها في ظل ظليل من حماية أميرها ومودته، وقد سجل المقري خبر هذه الرحلة فقال: "لما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة إلا أنه كان خارج على المذهب ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت السنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه، واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل، وحل بجزيرة ميورقة، فرأس فيها واتبعه أهلها، فلما قدم أبو الوليد الباجي كلموه في ذلك فدخل إليه وناظره، وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة،⁽²⁾ وقد علق أبو زهرة على خبر المقري هذا فقال: "وهذا الخبر له عدة دلائل:⁽³⁾

أولها: أنه لم يعين السنة التي كان فيها ابن حزم في ميورقة فإنها كانت سنة 440هـ لأن الباجي

الذي ارتحل إلى المشرق وتعلم فيه علم الكلام والجدل والفقه والحديث وغيره عاد إلى ميورقة سنة 440هـ.

ثانيها: إن مذهب ابن حزم وتفكيره كان محبباً لأهل ميورقة، وقد كان له فيها تلاميذ وأصدقاء.

ثالثها: إن ابن حزم كان ألحن بحجته على علماء وفقهاء ميورقة لأنهم كانوا عاكفين على الفروع لا يدرسون سواها وهو كان يغلب عليهم بثقافته الواسعة، ويلحن عليهم بحجته البالغة.

وقد ضعف أمر ابن حزم في ميورقة في نهاية الأمر، وذلك بعد موت ابن رشيق سنة 440هـ تظاهر عليه الفقهاء في كل ناحية، ومما زاد من حدة الأمر ما قام به حاكم إشبيلية المعتضد من دعوة الناس إلى مبايعته وحده خليفة للأندلس، وادعى أنه الخليفة المقتول هشام المؤيد. وعندما بلغ ابن حزم ما يدعيه أمير

(1) ابن حزم، طوق الحمامة، ص 74.

(2) المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص 231.

(3) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 45.

إشبيلية أذاع على الناس حقيقة الأمر في عبارة قاسية، فقال: "أخلوقة لم يقع مثلها في الدهر، فإنه ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام المؤيد، وادعى أنه هو، فبويح له وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش في أمره. جن أمير أشبيلية حنقا على ابن حزم وكان من قبل قد تشبع بتحريض الفقهاء مما دفعه إلى أن يصدر أمرا بمنع تداول مؤلفات ابن حزم، وجمعها كلها من خزائن الكتب العامة والخاصة وما هي إلا أيام حتى قام بإحراقها". وقد أشار ابن حزم إلى هذه المؤامرة في أبيات أنشدها.⁽¹⁾

ثامنا: آخر المطاف:

اضطر ابن حزم إلى ترك "ميورقة" الجزيرة التي عرف فيها حلاوة الأمن وطيب الألفة، وذلك بعد أن كثر المتربصون به والناقمون عليه، وقد ذكر الامام أبو زهرة في كتابه أن ابن حيان وصف حال ابن حزم بعد أن صار هدفا للمتربصين فقال: " طفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بتربة بلدة من بادية " ليلة".⁽²⁾

المطلب الثالث: مؤلفاته:

يعد ابن حزم -رحمه الله- من أكثر علماء الإسلام تأليفا وتصنيفا، فقد خلف وراءه مكتبة موسوعية ضخمة ضمت مجلداتها كثيرا من أنواع العلوم الشرعية، واللغوية، والتاريخية، والأدبية، والطبية، بل والإنسانية التي خاضت في أعماق النفس وسرائرها، مثل رسالته (طوق الحمامة)، ويعد ابن حزم -رحمه الله- من كبار رجال الجدل المشهورين بمناقشاتهم الجدلية ومساجلاتهم الكلامية مع أهل الفرق الأخرى من أشاعرة ومعتزلة وشيعة وغيرهم، ومع أهل العقائد الأخرى من يهود ونصارى وملحدين ومشركين ودليل ذلك ما خلفه لنا ابن حزم من مؤلفات مشهورة في هذا الميدان مثل كتاب (الفصل)، الذي يعد من أعظم مآلف من الكتب الجدلية والذي أهله -رحمه الله- لا نعيده علماء الغرب بأنه مؤسس علم مقارنة الأديان، فهو علم من أعلام الأمة ومنازة من مناراتها رغم كل ما قيل فيه، وقد بلغت مصنفاته حوالي أربع مئة مجلد تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة كما ذكر ابنه أبو رافع،⁽³⁾ وقد ذكر الذهبي له في السير ستة وسبعين، وذكر الدكتور أحمد بن ناصر الحمد مائة وستة وثلاثين كتاب، كما أحصى العلامة أبو عبد

(1) يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 33.

(2) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 46-49.

(3) المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 2 ص 239.

الرحمن بن عقيل الظاهري ما لم يصلنا من كتبه فبلغت ثلاثة وثمانين كتاباً،⁽¹⁾ و هذه المصنفات تتمثل ما يلي:

أولاً: المطبوع والمخطوط:

- 1- الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها.
- 2- إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد.
- 3- الاتصال.
- 4- الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.
- 5- الإحكام في أصول الأحكام.
- 6- الأخلاق والسير.
- 7- أخلاق النفس.
- 8- الاستقصاء.
- 9- أسماء الخلفاء المهديين والأمة أمراء المؤمنين.
- 10- أسماء الصحابة الرواة وما لكل منهم من الأحاديث.
- 11- أسواق العرب.
- 12- أصحاب الفتيا من الصحابة.
- 13- الأصول والفروع.
- 14- الاعتقاد.
- 15- الإعراب في كشف الالتباس.
- 16- الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها.
- 17- أمهات الخلفاء.

(1) ابن عقيل الظاهري، ابن حزم، مجلة الفيصل، السنة الثالثة، ع 26، سنة 1399 هـ.

- 18- أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس.
- 19- الإيمان في الرد على عطف بن دوناس القيرواني.
- 20- البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي.
- 21- البيان عن حقيقة الإيمان.
- 22- تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها لا قضاء عليه فيما قد خرج من وقته.
- 23- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه.
- 24- التلخيص في أعمال العباد.
- 25- تنوير القياس.
- 26- التوفيق إلى شارع النجاة باختصار الطريق.
- 27- الجامع.
- 28- جمل فتوح الإسلام.
- 29- جمهرة أنساب العرب.
- 30- جوامع السيرة.
- 31- حجة الوداع.
- 32- الحد والرسم.
- 33- خمس رسائل ألحقت بجوامع السير.
- 34- در القواعد في فقه الظاهرية.
- 35- الدرّة في ما يلزم الإنسان.
- 36- ديوان شعره.
- 37- الرد على ابن زكريا الرازي.
- 38- الرد على ابن النغريلة اليهودي.

- 39- الرد على الهاتف من بعيد.
- 40- السعادة في الطب.
- 41- السياسة.
- 42- السيرة النبوية.
- 43- السير والأخلاق.
- 44- الصماد حية في الوعد والوعد.
- 45- الطب النبوي.
- 46- طوق الحمامة في الألفة والآلاف.
- 47- عدد ما لكل صاحب في سند بقي بن مخلد.
- 48- علم الكلام على مذهب أهل السنة والإجماع.
- 49- الغناء الملهي أمباح هو أم محذور.
- 50- فتاوى عبد الله بن عباس.
- 51- الفصل في الملل و الأهواء و النحل.
- 52- فضائل الأندلس وأهلها.
- 53- فضل العلم وأهله.
- 54- قصيدة في الهجاء ردا على قصيدة نقفور.
- 55- ما وقع بين الظاهرية و أصحاب القياس.
- 56- المحلى بالآثار في شرح المجلي بالاختصار.
- 57- مراتب الإجماع.
- 58- مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض.
- 59- مراقبة أحوال الإمام.

- 60- سائل أصول الفقه.
- 61- مسألة الإيمان.
- 62- مسألة في الروح.
- 63- مسألة الكلب.
- 64- المعارضة.
- 65- معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها.
- 66- معنى الفقه والزهد.
- 67- المفاضلة بين الصحابة.
- 68- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
- 69- منتقى الإجماع وبيانه من جملة ملا يعرف فيه اختلاف.
- 70- الناسخ والمنسوخ.
- 71- النبذ الكافية في أصول أحكام الدين.
- 72- النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبايح المرديّة من أقوال أهل البدع.
- 73- نقط العروس في النوادر.
- 74- هل للموت آلام أم لا.
- ثانيا: مصنفات ابن حزم المفقودة:**
- 1- أسماء الله الحسنى.
- 2- إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.
- 3- الإظهار لما شنع به على الظاهرية.
- 4- الإملاء في قواعد الفقه.
- 5- الإملاء في شرح الموطأ.

- 6- الإنصاف.
- 7- الإيصال إلى فهم كتاب الخصال لجمل شرائع الإسلام.
- 8- اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة.
- 9- اختلاف الفقهاء الخمسة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد وداود.
- 10- الاستجلاب.
- 11- بلغة الحكيم.
- 12- بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل.
- 13- بيان الفصاحة والبلاغة.
- 14- التأكيد.
- 15- الرد على أناجيل النصارى.
- 16- التعقب على الأفليبي في شرحه لديوان المتنبي.
- 17- التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين.
- 18- التحقيق في نقد زكريا الرازي في كتابه العلم الإلهي.
- 19- ترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين.
- 20- الترشيح في الرد على كتاب "الفريد" لابن الرواندي في اعتراضه على النبوات.
- 21- تسمية الشعراء الوافدين على ابن عامر.
- 22- تسمية شيوخ مالك.
- 23- التصفح في الفقه.
- 24- الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحابها.
- 25- حد الطب.
- 26- الحدود.

- 27- الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام.
- 28- الرد على من اعترض على الفصل.
- 29- الرد على من كفر المتأولين من المسلمين.
- 30- رسالة المعارضة.
- 31- رسالة في الأدوية المفردة.
- 32- الرسالة اللازمة لأولي الأمر.
- 33- زجر الغاوي.
- 34- شرح أحاديث الموطأ.
- 35- شرح فصول بقراط.
- 36- شفاء الضد بال ضد.
- 37- شيء في العروض.
- 38- الضاد و الظاء.
- 39- العتاب على أبي مروان الخولاني.
- 40- غزوات المنصور بن أبي عامر.
- 41- الفرائض.
- 42- الفضائح.
- 43- فهرست شيوخ ابن حزم.
- 44- القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر.
- 45- قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي.
- 46- قصر الصلاة.
- 47- كتاب المرطار في اللهو والدعابة.

- 48- كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس.
- 49- ما خالف فيه أبو حنيفة، و مالك والشافعي جمهور العلماء.
- 50- المجلي بالاختصار.
- 51- المحاكمة بين التمر والزبيب في الطب.
- 52- مختصر كتاب الساجي في الرجال.
- 53- مختصر الملل والنحل.
- 54- مختصر الموضح لأبي الحسن المغلس الظاهري.
- 55- مراتب الديانة.
- 56- مراتب العلماء وتوابعهم.
- 57- مقالة في النحل.
- 58- مقالة السعادة.
- 59- مسألة هل السواد لون أو لا.
- 60- من ترك الصلاة عمدا.
- 61- مهم السنن.
- 62- نسب البربر.
- 63- نكت الإسلام.
- 64- اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين.

ثالثا: كتب الأديان لابن حزم:

- 1- الفصل في الملل و الأهواء والنحل.
- 2- الرد على ابن النغريلة اليهودي.
- 3- الرد على من اعترض على الفصل (مفقود).

4- الرد على أناجيل النصارى (مفقود).

5- مختصر الملل والنحل (مفقود).

هذا ما استطعت إحصاؤه مما أورده أبو عبد الرحمن بن عقيل⁽¹⁾ والدكتور إحسان عباس⁽²⁾ من مصنفات مفقودة من مؤلفات ابن حزم.

ويلاحظ القارئ لمؤلفات ابن حزم إيمانه العميق بالله وبرسالة محمد. وموافقها لمقتضيات العقول السليمة، وبطلان ما عداها من الملل والأهواء والنحل، إيماناً قائماً على درس العميق المقارن والاطلاع الواسع.⁽³⁾

المبحث الثالث: مكانة ابن حزم العلمية.

المطلب الأول: مؤيدوه

قال الحميدي:

كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متفنناً في علوم جمة، عاملاً، بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة وتأليف، كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً وسمع سماعاً جماً، وأول سماعه، من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجصور، قبل الأربعمئة، وألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه كتاب [الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة، لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع] أورد فيه أقوال، الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة عليها والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح.⁽⁴⁾

وقال الحميدي أيضاً: ما رأينا مثله مما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه قال أنشدني لنفسه:

(1) ابن عقيل الظاهري، ابن حزم خلال ألف عام، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1402هـ/1982م، ج1، ص 196-208.

(2) انظر: إحسان عباس، المرجع السابق، ص 120-150.

(3) عبد الحلیم عویس، المرجع السابق، ص 122.

(4) محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 489.

لئن أصبحت متحلا بجسمي

فروحي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى⁽¹⁾

له سأل العاينة الكلیم

وروی له الحافظ الحمیدی:

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا

وما يغني المشوق وقوف ساعة

كأن الشمل لم يك ذا اجتماع⁽²⁾

إذا ما شئت البين اجتماعه

وقال ابن العماد الحنبلي: كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب.⁽³⁾

وقال أبو حامد الغزالي:

« وجدت في أسماء الله الحسنى كتابا لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه. »

وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد في طبقات الأمم كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار: أخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.⁽⁴⁾

وقال ابن خلكان:

« كان حافظا عالما بعلوم الحديث مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبي الملك متواضعا ذا فضائل وتآليف كثيرة وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كثيرا وسمع سماعا جما وألف في فقه الحديث كتابا سماه كتاب الإيصال إلى

(1) نفسه، ص 490.

(3) نفسه، ص 491.

(3) عبد الحي ابن أحمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط ومحمد الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت 1406هـ / 1986م، ص 299.

(4) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو، ط1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1330هـ، ص 98، 99.

الفهم، وكتاب الخصال الجامعة نحل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين وله كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وبيان ناقص ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل وهذا معنى لم يسبق إليه وكتاب التقريب بحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة وكان له كتاب صغير سماه نقط العروس جمع فيه كل غريبة ونادرة»⁽¹⁾.

وقال محمد صديق حسن خان القنوجي:

«... كان متقنا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك متواضعا ذا فضائل جمة وتأليف كثيرة، ألف في فقه الحديث كتابا سماه الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين والحجة لكل طائفة وعليها وهو كتاب كبير ... وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت عنه القلوب واستهدف فقهاء وقته فتمالوا على بغضه وردوا أقواله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده»⁽²⁾.

ذكر ابن مفلح انه سمع العز بن عبد السلام أنه قال:

« ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغنى لابن قدامة»⁽³⁾.

وقال ابن بشكوال: في حقه كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة⁽⁴⁾.

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ص 325-330.

(2) صديق القنوجي، أجد العلوم، تح: أبو عبد الرحمان سعيد معشاشة، ط 1، دار ابن حزم، بيروت 1431هـ، ص 147، 148.

(3) ابن مفلح، المقصد الأرشد، تح: عبد الرحمان العثيمين، ط 1، مكتبة الرشد، السعودية 1410هـ/1990م، ج 2، ص 213، 214.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 605.

وقال عبد الواحد بن علي المراكشي:

(...) نبذ الوزارة واطرحها اختيارا وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فنال من ذلك ما لم ينل أحد قبله بالأندلس وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي أقام على ذلك زمانا ثم انتقل إلى القول بالظاهر وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعه على مهيعه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود ابن علي بن خلف الاصبهاني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين له نحو من أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام.⁽¹⁾

وقال جلال الدين السيوطي:

« كان صاحب فنون وورع وزهد واليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار». ⁽²⁾

وقال الإمام الذهبي : الإمام الأوحدي، البحر، ذو الفنون والمعارف أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رضي الله عنه- المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص على دمشق، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف. فكان جده يزيد مولى للأمير يزيد أخي معاوية. وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، المعروف بالداخل... وقد حظ أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب " القواصم والعواصم " وعلى الظاهرية... قلت: لم ينصف القاضي أبو بكر -رحمه الله- شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما.⁽³⁾

المطلب الثاني: معارضوه.

(1) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 1426هـ/2006م، ص46-49.

(2) جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1403هـ، ص456.

(3) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص250-252.

وقد انتقد أبو بكر ابن العربي ابن حزم في كتاب " القواصم والعواصم " كما انتقد الظاهرية:

" وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخييف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكل، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوام، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلا بالمسائل." (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، مقوماً ابن حزم في الاعتقاد والفقه والمنهج:

وإن كان أبو محمد ابن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى، وبمثل هذا صار يذم من الفقهاء، والمتكلمين وعلماء الحديث بإتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفى المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموماً إلى ما في كلامه من الوقوعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني ودعوى متابعة الظواهر، وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كثير من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء. (2)

وكان بين أبو عمرو الداني وبين بن حزم وحشة ومنافرة شديدة أفضت بهما إلى التهاجي، حيث كان أبو عمرو أقوم قليلاً وأتبع للسنة حسب قول الذهبي، ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم بلغت توالييف أبي عمرو مئة وعشرين كتاباً. (3)

وكانت بينه وبين أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي المالكي الأشعري.

(1) أبو بكر العربي، العواصم من القواصم، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ص 106-109.

(2) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت 1490هـ/ 1980م، ج1، ص 96-101.

(3) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417هـ/ 1996م، ج18، ص199.

وللحافظ البارع المجود أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي رد على ابن حزم وكان حافظاً للحديث وعلمه عالماً بالرجال متقناً أديباً شاعراً فصيحاً نبيلاً أسمع الناس بقرطبة وكان ابن زرقون أبو الحسين محمد بن أبي عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري⁽¹⁾ الأشبيلي شيخ المالكية من كبار المتعصبين للمذهب فأوذى من جهة بني عبد المؤمن لما أبطلوا القياس وألزموا الناس بالأثر والظاهر وقد صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم توفي في شوال سنة 731 هـ وله ثلاث وثمانون سنة.⁽²⁾

وممن انتقد ابن حزم إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربيعي التونسي قاضي قضاة بتونس يكنى أبا اسحاق ألف كتاب معين الحكام في مجلدين وله الرد على ابن حزم في اعتراضه على مالك في أحاديث خرجها في الموطأ ولم يقل بها وله اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد بن رشد.⁽³⁾

وقد أفرط السبكي الابن كعادته في الرد فقال عن كتاب الفصل لابن حزم " وكتابه هذا الملل والنحل من شر الكتب وما برح المحققون من أصحابنا يnehون عن النظر فيه لما فيه من الإزراء بأهل السنة ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبت عنهم والتشنيع عليهم بما لم يقولوه وقد أفرط في كتابه هذا في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وكاد يصرح بتكفيره في غير موضع وصرح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة والذي تحققته بعد البحث الشديد أنه لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه فصدقها بمجرد سماعه إياها ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع وقد قام أبو الوليد الباجي وغيره على ابن حزم بهذا السبب وغيره وأخرج من بلده وجرى له ما هو مشهور في الكتب من غسل كتبه وغيره.⁽⁴⁾

وممن رد على ابن حزم الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي حدث عن عمه طاهر الحافظ وأبي علي الغساني وأجاز له أبو الوليد الباجي وكان حافظاً متقناً

(1) ابن مفوز، ولد في عام موت أبي عمر بن عبد البر سنة ثلاث وستين وأربع مئة وأجاز له الشيخ أبو عمر بن الحذاء والقاضي أبو الوليد الباجي وسمع من عمه طاهر بن مفوز وأبي علي الجبائي فأكثر وأبي مروان بن سراج ومحمد بن الفرج الطلاعي، وخلف شيخه أبا علي في حلقة وفاجئه الموت قبل أوان الرواية وعاش نيفاً وأربعين سنة توفي سنة خمس وخمس مئة.

(2) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص421.

(3) ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، ج1، ص286.

(4) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1383هـ/1963م، ج1، ص90، 91.

ضابطا عارفا بالأدب وفنونه حدث بقرطبة وخلف شيخه أبا علي في الإفادة وله رد على ابن حزم مات
سنة خمس عشرة وخمسمائة عن اثنتين وأربعين سنة.⁽¹⁾

(1) محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 493.

الفصل الثاني:

آراء ومنهج ابن حزم وموقفه من الفرق الإسلامية.

المبحث الأول: آراءه و منهجه.

المبحث الثاني: أشهر مسائل الخلاف الكلامية

وموقف ابن حزم منها.

المبحث الثالث: موقف ابن حزم من الفرق الإسلامية.

الفصل الثاني: آراء ومنهج ابن حزم وموقفه من الفرق الإسلامية.

المطلب الأول: آراء ابن حزم.

قوله في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل: في المجتهد المخطئ: وعمار (رضي الله عنه) قتله أبو الغادية يسار ابن سبع السلمي، شهد عمار بيعة الرضوان، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السكينة عليه (رضي الله عنه)، فأبو الغادية رضي الله عنه متأول مجتهد مخطئ فيه باغ عليه مأجور أجزا واحدا، وليس هذا كقتله عثمان (رضي الله عنه) لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله، لأنه لم يقتل أحدا، ولا حارب، ولا قاتل، ولا دافع، ولا زنا بعد إحصان، ولا ارتد، فيسوغ المحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان، فهم فساق ملعونون. لم أجد معنى لاجتهاد أبي الغادية (بالمعجمة) وهو من مجاهيل الدنيا، وأفناء الناس، وحثالة العهد النبوي، ولم يعرف بشيء غير أنه جهنمي، ولم يذكر في أي معجم بما يعرب عن اجتهاد، ولم يرو منه شيء من العلم الإلهي سوى قول النبي (صلى الله عليه وسلم): دمائكم وأموالكم حرام، وقوله: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.⁽¹⁾

ثم لم أدر ما معنى هذا الاجتهاد في مقابل النصوص النبوية في عمار، ولست أعني بها قوله (صلى الله عليه وسلم) في الصحيح الثابت المتواتر لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وفي لفظ: الناكبة عن الطريق، وإن كان لا يدع مجالا للاجتهاد في تبرير قتله، فإن قاتله مهما تأول فهو عاد عليه ناكب عن الطريق، ونحن لا نعرف اجتهادا يسوغ العدوان الذي استقل العقل بقبحه، وعاضده الدين الإلهي الأقدس وإن كان أوله معاوية أو رده لما حدث به عبد الله بن عمرو وقال عمرو بن العاص: يا معاوية، أما تسمع

(1) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: محمد علي بجاوي، دار الجيل، بيروت 1412هـ/1992م، مج2، ص 680.

ما يقول عبد الله؟ بقوله: إنك شيخ أخرج، ولا تزال تحدث بالحديث، وأنت ترحض في بولك، ونحن قتلناه؟
إنما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا.⁽¹⁾

كما لست أعني ما أخرج الطبراني عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم): إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق. وإن كان قاطعا للحجاج فإن المناوي لابن سمية (عمار) على الباطل لا محالة، ولا تجد اجتهادا يبرر مناصرة المبطل على المحق بعد ذلك النص الجلي. وإنما أعني ما أخرج الحاكم في المستدرک وصححه، وكذلك الذهبي في تلخيصه، بالإسناد عن عمرو بن العاص: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: اللهم أولعت قريش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه في النار.⁽²⁾

وأخرج السيوطي في جمع الجوامع قوله (صلى الله عليه وسلم) لعمار: يدخل سالبك وقاتلك في النار من طريق ابن عساكر، ومن طريق الطبراني في الأوسط.⁽³⁾ وأخرج الحافظ أبو نعيم وابن عساكر - كما في ترتيب جمع الجوامع عن زيد بن وهب قال: كان عمار بن ياسر قد ولع بقريش وولعت به فغدوا عليه فضربوه، فجلس في بيته، فجاء عثمان بن عفان يعوده فخرج عثمان وصعد المنبر فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: تقتلك الفئة الباغية، قاتل عمار في النار، وأخرج الحافظ أبو علي وابن عساكر كما في ترتيب جمع الجوامع عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية، بشر قاتل عمار بالنار. وفي جمع الجوامع من طريق الحافظ ابن

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 605.

(2) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تح: محمد ابراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة 1387هـ/1967م، مج6، ص23.

(3) جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع، تح: مختار ابراهيم و اخرون، ط 2، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة 1426هـ/2005م، مج6، ص184.

عساكر عن أسامة بن زيد قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار؟⁽¹⁾

وفي ترتيب الجمع من طريق ابن عساكر عن مسند علي: إن عمارا مع الحق والحق معه، يدور عمار مع الحق أينما دار، وقاتل عمار في النار. وأخرج أحمد وابن عساكر عن عثمان، وابن عساكر عن أم سلمة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمار: تقتلك الفئة الباغية، قاتلك في النار كنز العمال.⁽²⁾ وأخرجه عن أم سلمة ابن كثير في تأريخه من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وأخرج أحمد في مسنده عن خالد بن الوليد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من عادى عمارا عاداه الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله.⁽³⁾

وأخرجه الحاكم في المستدرک بطريقين صححهما هو والذهبي، والخطيب في تأريخه، وابن الأثير في أسد الغابة، وابن كثير في تأريخه، وابن حجر في الإصابة، والسيوطي في جمع الجوامع من طريق ابن أبي شيبة وأحمد، وفي من طرق أحمد وابن حبان والحاكم.⁽⁴⁾

وأخرج الحاكم في المستدرک بإسناد صححه هو والذهبي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلفظ: من يسب عمارا يسبه الله، ومن يبغض عمارا يبغضه الله، ومن ييسفه عمارا ييسفه الله أيضا قال الطبراني: من سب عمارا سبه الله، ومن حقر عمارا حقره الله، ومن سفه عمارا سفه الله.⁽¹⁾

(1) جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع، ص 75.

(2) المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأفعال و الأفعال، تح: صفوت السقا، بكري الجباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 13.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة، بيروت 1980م، ص 123-130.

(4) أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ/1987م، ص 391.

وأخرج الحاكم في المستدرک بإسناده بلفظ : من يحقر عمارا يحقره الله، ومن يسب عمارا يسبه الله، ومن يبغض عمارا يبغضه الله وأخرجه السيوطي في جمع الجوامع في من طريق أبي يعلى وابن عساكر، وفي عن أبي يعلى وابن قانع والطبراني والضياء المقدسي في المختارة.⁽²⁾

وهناك دروس في هذه كلها يقرأها علينا التاريخ، قال ابن الأثير في الكامل إن أبا الغادية قتل عمارا، وعاش إلى زمن الحجاج، ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له: أنت قتلت ابن سمية؟ يعني عمارا، قال: نعم، فقال: من سره أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية، ثم سأله أبو الغادية حاجته فلم يجبه إليها، فقال: نوطى لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم أي عظيم الباع يوم القيامة، فقال الحجاج: أجل والله من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والريذة إنه لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عمارا قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار.⁽³⁾

وفي الاستيعاب (هامش الإصابة): أبو الغادية كان محبا في عثمان وهو قاتل عمار، وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمار بالباب، وكان يصف قتله له إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجب عند أهل العلم روى عن النبي قوله: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، وسمعه منه ثم قتل عمارا، وهذه كلها تتم عن غايته المتوخاة في قتل عمار وإطلاعه ووقوفه على ما أخبر به النبي الأقدس في قاتل عمار، وعدم ارتداعه ومبالاته بقتله بعدهما، غير أنه كان بطبع الحال على رأي إمامه معاوية ويقول لمحدثي قول النبي بمقاله المذكور: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث، وأنت ترحض في بولك.⁽⁴⁾

(1) نفسه، ص 393.

(2) نفسه، ص 394، 395.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1407هـ/1987م، ص 134.

(4) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص 681.

وغاية ما عند ابن حزم في قتلة عثمان: أن اجتهادهم في مقابلة النص: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.⁽¹⁾

وأما من سب أحدا من الصحابة (رضي الله عنهم): فإن كان جاهلا فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنا وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فهو كافر، وقد قال عمر (رضي الله عنه) بحضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) عن حاطب - وحاطب مهاجر بدري - : دعني أضرب عنق هذا المنافق.⁽²⁾

فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متأولا، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): آية النفاق بغض الأنصار، وقال لعلي: لا يبغضك إلا منافق. وكم عند ابن حزم من المجتهدين نظراء عبد الرحمن بن ملجم وأبي الغادية، حكم في الفصل بأنهم مجتهدون وهم مأجورون فيما أخطئوا: قطعنا أن معاوية (رضي الله عنه) ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرا واحدا، معاوية وعمرو بن العاصي من المجتهدين، ثم قال: إنما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون، وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه، فأى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما؟ لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم.⁽³⁾

(1) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، ج9، ص6. ومسلم في صحيح مسلم، ج3، ص1302. وأبو داود الترميذي، سنن أبي داود، ج4، ص4353. والنسائي وابن ماجه والدارمي، في السنن، وابن سعد في الطبقات، وأحمد والطيالسي في المسندين، وابن هاشم في السيرة، والواقدي في المغازي.

(2) عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988، ص85-87.

(3) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص961.

وشتان بين المفتين الذين التبت عليهم الأدلة في الفتيا، أو اختلفت عندهم بالنصوصية والظهور ولو بمبلغ فهم ذلك المفتي، أو أنه وجد إحدى الطائفتين من الأدلة أقوى من الأخرى لصحة الطريق عنده، أو تضافر الإسناد، فجنح إلى جانب القوة، وارتأى مقابله بضرب من الاستنباط تقوية الجانب الآخر، فأفتى كل على مذهبه، كل ذلك إخباتا إلى الدليل من الكتاب والسنة.⁽¹⁾

فشتان بين هؤلاء وبين محاربي علي (عليه السلام)، وبمرأى الملاء الإسلامي ومسمعهم كتاب الله العزيز وفيه آية التطهير الناطقة بعصمة النبي وصنوه وصفيته وسبويه، وفيه آية المبالغة النازلة فيهم وعلي فيها نفس النبي، وغيرهما مما يناهز ثلاثمائة آية النازلة في الإمام أمير المؤمنين.⁽²⁾

كما يقول ابن حزم نفسه: ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ، فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجرا واحدا لطلبه الحق وقصده إليه، مغفور له خطؤه إذ لم يتعمد، لقول الله تعالى: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ)⁽³⁾. وإن كان مصيبا فله أجران: أجر لإصابته، وأجر آخر لطلبه إياه. وإن كان قد قامت الحجة عليه، وتبين له الحق، فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله (صلى الله عليه وآله) فهو فاسق لجرأته على الله تعالى بإصراره على الأمر الحرام.⁽⁴⁾

(1) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص 362-363.

(2) ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة 2007م، ص 115.

(3) سورة الأحزاب: الآية (5).

(4) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء، تح: عبد الرحمان خليفة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1347هـ، مج1، ص 243، 244.

فهل من الممكن إنكار حجية كتاب الله العزيز؟ أو نفي ما تلوناه منه؟ أو احتمال خفاء هذه الحجج الدامغة كلها على أهل الخطأ من أولئك المجتهدين؟ وعدم تبين الحق لهم؟ وعدم قيام الحجة عليهم؟ أو تسرب الاجتهاد والتأويل في تلك النصوص أيضا؟⁽¹⁾

وأخرجه الخطيب بإسناده عن زيد بلفظ: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم، والحافظ بن عساكر في تأريخه، ورواه الكنجي في كفايته، من طريق الترمذي، وابن حجر في الصواعق، من طريق الترمذي وابن حبان والحاكم، وابن الصباغ المالكي في فصوله، ومحب الدين في الرياض، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، من طريق ابن أبي شعبة والترمذي والطبراني والحاكم والضياء المقدسي في المختارة.⁽²⁾

وأخرجه ابن كثير في تاريخه باللفظ الأول عن أبي هريرة من طريق النسائي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين، وابن ماجه من حديث وكيع، كلاهما عن سفيان الثوري.⁽³⁾

وأخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة بلفظ: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم، والحاكم في المستدرک، والخطيب في تأريخه، والكنجي في الكفاية، من طريق أحمد وقال: حديث حسن صحيح، والمتقي في الكنز من طريق أحمد والطبراني والحاكم.⁽⁴⁾

وأخرج محب الدين الطبري في الرياض، عن أبي بكر الصديق: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين

(1) المتقي الهندي، المصدر السابق، ص 96.

(2) محمد بن أحمد القرطبي، المصدر السابق، ص 138-139.

(3) ابن كثير، المصدر السابق، ص 135.

(4) نفسه، ص 136.

أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد ردى الولادة.⁽¹⁾

وأخرج الحاكم في المستدرک، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ثم مد بها صوته.⁽²⁾

وأخرج في الفرائد في الباب الثالث والخمسين عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: يا رسول الله؟ أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب.⁽³⁾

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (هامش الإصابة): وروي من حديث علي، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي أيوب الأنصاري: إنه أمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فلعلك باخع بما ظهرت عليه من الحق الجلي غير أنك باحث عن القول الفصل في معاوية وعمرو بن العاصي، فعليك بما في طيات كتب التأريخ من كلماتهما، وسنوقفك على ما يبين الرشد من الغي في ترجمة عمرو بن العاصي وعند البحث عن معاوية في الجزء العاشر.⁽⁴⁾

قال ابن خلكان في تأريخه، كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكاد أحد يسلم من لسانه: قال ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين. قاله لكثرة وقوعه في الأئمة، فنفرت منه القلوب، واستهدف لفقهاء وقته، فتمالوا على بغضه، وردوا قوله، واجتمعوا على تضليله، وشنعوا عليه،

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار المعرفة، بيروت 1988م، ص 105، 106.

(2) الحاكم، المصدر السابق، ص 392.

(3) إبراهيم بن محمد الخراساني، فرائد السمطين في فضائل المرتضى، تح: محمد باقر المحمودي، ط1، 1398هـ/1978م، ص 236، 237.

(4) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص 682.

وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم من الدنو إليه، والأخذ عنه، فأقصته الملوك، وشردته عن بلاده، حتى انتهى إلى بادية ليلة،⁽¹⁾ فتوفي بها في آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة.⁽²⁾ ولقد حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار؟

هذا مجمل القول في آراء ابن حزم وضلالاته وتحكماته، فأنت - كما يقول هو: لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم - تجد الرأي العام في ضلاله قد صدر من أهله في محله، وليس هناك مجال نسبة الحسد والحنق إلى من حكم بذلك من المالكيين أو غيرهم، ممن عاصره أو تأخر عنه، وكتابه الفصل أقوى دليل على حق القول وصواب الرأي.⁽³⁾

المطلب الثاني: منهجه في التفسير.

لقد شمل منهجه في التفسير ما يلي:

1- منهجه في تفسير القرآن الكريم.

2- منهجه في تفسير القرآن بالسنة.

(1) بفتح اللامين، من بلاد الأندلس.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ص 328.

(3) محمد الخراساني، المصدر السابق، ص 237.

3- منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

4- منهجه في تفسير القرآن بأقوال التابعين.

5- منهجه في تفسير القرآن باللغة.

أولاً: منهجه في تفسير القرآن الكريم:

لاشك أن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير

وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا.⁽¹⁾

وقد نهج ابن حزم هذا النهج الذي هو نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فجعل تفسير القرآن بالقرآن

الأصل الأول في تفسير لكلام الله تعالى، وقد بين ذلك بقوله: «لا يجوز أن يفسر كلام الله إلا بكلامه، أو

بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بلغة العرب التي أخبر الله تعالى أنه نزل بها القرآن».⁽²⁾

ومن أمثلة ذلك فيما جمعت من آرائه مما ورد في ثنايا الدراسة، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِن

المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾،⁽³⁾ قال: «الكفر يزيد كلما زاد فيه فهو كفر،

والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقي منه وما نقص فكله كفر، وبعض الكفر أعظم وأشد وأشنع من بعض

وكله كفر، فالجزاء على قدر الكفر بالنص، وبعض الجزاء أشد من بعض بالنصوص ضرورة».⁽⁴⁾

(1) أحمد بن تيمية، المصدر السابق، ص 93، انظر: محمد الأمين بن المخطار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، اعتنى به: صلاح الدين العلايلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1417هـ/1992م، ج1، ص 30.

(2) ابن حزم، المحلى بالآثار، تح: عبد الغفار البنداري، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م، ج2، ص 288.

(3) سورة النساء: الآية (145).

(4) يوسف فرحات، المرجع السابق، ص 87، 88.

قال تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾⁽²⁾، فصح بنص القرآن أن عذاب أهل النار، بعضه أشد من بعض، وأن بعض تلك الإدراك أسفل من بعض، وأنه تعالى يضاعف بعضهم أشد من بعض. أعاذنا الله من جميع ذلك».⁽³⁾

وقال في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽⁴⁾: «والعهد هو العقد نفسه، وهو ما ألزمه المرء والتزمه، فما كان عهدا لله تعالى، وعقدا له فهو لازم، وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾⁽⁵⁾، فصح أن العهد شيء غير اليمين، إذ قد يكون العهد بلا يمين، ولا يجوز أن يضمن أحد أن معنى ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي يمين الله، وإن كان عهد لم يأمر الله - تعالى - به، فهو باطل، لا يلزم، قال صلى الله عليه وسلم: " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل " والشرط هو العهد نفسه، وهو العقد نفسه».⁽⁶⁾ هذا، وإن منهاج ابن حزم -رحمه الله- في تفسيره القرآن بالقرآن، الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض، وله في ذلك مؤلفات ذكر أهل العلم أنها مما فقد من كتبه، ولم يبق منها إلا كتابه في الرد على ابن النغريلة اليهودي، قال فيه ابن عقيل: وقيمة هذا الكتاب أنه من آثاره التي وصلت إلينا في تفسير القرآن وهو النموذج لجمعه بين النصوص التي ظاهرها التعارض. وكتابه المحلى مليء بالمسائل التطبيقية لهذا الأصل.⁽⁷⁾

ثانيا: منهجه في تفسير القرآن بالسنة.

(1) سورة هود: الآية (25).

(2) سورة غافر: الآية (42).

(3) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 99، 100.

(4) سورة المائدة: الآية (1).

(5) سورة النحل: الآية (91).

(6) حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 56، 57.

(7) نفسه، ص 58.

السنة أصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، فهي المفسرة للقرآن، والمبينة له، والدالة عليه، والمعبرة عنه، وقد عدها شيخ الإسلام ابن تيمية المصدر الثاني للتفسير، فقال بعد أن ذكر تفسير القرآن بالقرآن: " فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له ".⁽¹⁾

وقد طبق ابن حزم هذا المنهج وصار عليه موضحا ذلك بما سبق بيانه أنه لا يجوز العدول عن السنة في تفسير القرآن إذا وجدت، ويقول: «جاء النص ثم لم يختلف فيه مسلمان في أن ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله ففرض اتباعه، وأنه تفسير لمراد الله تعالى في القرآن وبيان لجمله». ⁽²⁾

ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، ⁽³⁾ " فلم يبيح لنا الله تعالى ما أمسكن فقط ولا ما أمسكن على أنفسهن بل ما أمسكن علينا فقط، وبالمشاهدة ندري أنه إذا أكل منه فعلى نفسه أمسك ولها صاد فهو حرام. وأيضا قول الله تعالى: ﴿وَالْمَنْخَنَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُتْرِدِيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعَ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾. ⁽⁴⁾ والكلب سبع بلا خلاف فتحريم ما أكل منه حرام بن القرآن فلا يحل إلا حيث أحله النص فقط. ⁽⁵⁾ ويتلخص منهج ابن حزم في أبرز الأحاديث في ما يلي:

1- الأخذ بالصحيح من الأحاديث ورفض الضعيف:

وقد قرر ابن حزم هذا المنهج بصراحة ووضوح في أكثر من موضع من كتبه يقول في كتابه الإحكام: « ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله ففرض أتباعه، وأنه تفسير لمراد الله تعالى في

(1) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 94.

(2) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1403هـ/1983، ص 142.

(3) سورة المائدة : الآية (4).

(4) سورة المائدة: الآية (3).

(5) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 143.

القرآن..»،⁽¹⁾ وجاء في مقدمته لكتاب المحلى قوله: « وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لم نحتج إلا بخبر صحح من رواية الثقات مسند، ولا خالفنا إلا خيرا ضعيفا مبينا ضعفه، أو منسوخا فأوضحنا نسخه». ⁽²⁾

وقد التزم بهذا المنهج في الأحاديث التي وردت في مسائل الدراسة. ويؤخذ عليه في هذا المنهج:

تشدده وكثرة رده للأحاديث التي كان ضعفها يسيرا أو محتملا، فالضعيف عنده مرتبة واحدة وهو من قسم المردود غير المعتبر، كما أنه لا يقول بالحديث الحسن لذاته ولا لغيره، فالضعيف لا يتقوى عنده بالطرق والشواهد، فالرواية عنده قسمان فقط صحيحة مقبولة أو ضعيفة مردودة، وهذا ما جره إلى الوقوع في كثير من الأخطاء التي استدرکها عليه نقاد المحدثين الذين جاءوا بعده فعاابوا عليه التسرع في الحكم على الأحاديث دون استيعاب طرقها، وألفاظها، وفحصها الفحص الجيد. ⁽³⁾

2- كثرة إيراده لأسانيد الأحاديث:

فيذكر السند من كتاب من كتب السنة التي سمعها من مشايخه، أو يذكر سنده هو من شيخه إلى رسول الله صلة الله عليه وسلم مع ما يكون في ذلك الإسناد من طول، وهذا من أمارات تمكنه في علم الحديث. ⁽⁴⁾

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** 》. ⁽⁵⁾ وجب أن المسلم ليس

كالكافر في شيء أصلا، ولا يساويه في شيء، فإذا هو كذلك فباطل أن يكافأ دمه بدمه، أو عضوه بعضوه، أو بشرته ببشرته، وبطل أن يستقاد للكافر من المؤمن، أو يقتص له منه - فيما دون النفس - إذ

(1) نفسه، ص 143، 144.

(2) ابن حزم، المحلى، ص 109.

(3) طه بو سريح، المنهج الحديثي، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت 2001، ص 395.

(4) نفسه، ص 396، 397.

(5) سورة النساء: الآية (141).

لا مساواة بينهما أصلا. ولما منع الله عز وجل أن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا وجب -ضرورة- ألا يكون له عليه سبيل في قوده ولا في قصاص أصلا، ووجب ضرورة استعمال النصوص كلها، إذ لا يحل ترك شيء منها.(1)

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نَأْمَنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽²⁾ قال: فهذا دليل واضح جلي بين أن الله عز وجل قد نقل اسم الإيمان عن وضعه في اللغة إلى معنى شرعي... وأخرهم خروجاً من النار من استضاف إلى إقراره باللسان أقل ما يمكن من العمل وهو الذي لا بد منه، ولا ينفع شيء دونه، وهو الإقرار باللسان بكل ذلك فقط، وإن لم يعمل خيراً قط لا فرضاً، ولا نافلاً، ولا تورع عن كبيرة من الكبائر ومن زاد على هذا فهم بحسنة ولم يعملها كان أكثر حظاً من الخير، وكان ذلك هو الذي في قلبه مقدار برة أو شعيرة على ما جاء في الحديث الصحيح.⁽³⁾

4- حكمه أحياناً على بعض رجال الإسناد جرحاً أو تعديلاً:

في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكُلَّةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ...﴾⁽⁴⁾ قال في ميراث الأخت الشقيقة أو الأب مع ابن ذكر أو ابنة أنثى... وروينا من طريق شعبة، وسفيان عن أبي قيس الأودي - هو عبد الرحمن بن ثروان - عن الهزيل بن شرحبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت؟ ... قال أبو محمد: وتكلم أصحابنا في

(1) ابن كثير، المصدر السابق، ص 145.

(2) سورة النساء: الآية (150).

(3) ابن كثير، المصدر السابق، ص 146، 147.

(4) سورة النساء: الآية (172).

أبي قيس، قال علي: أبو قيس ثقة ما نعلم أحدا جرحه بجرحة تجب إسقاط روايته، فالواجب الأخذ بما روى.⁽¹⁾ ويؤخذ عليه في هذا المنهج أمور:

1- نظرته الظاهرية في الحكم على الرجال، فهم عنده على مرتبتين فقط، إما الثقة وإما الضعف، وحديث الثقة عنده (في غاية الصحة)، وحديث الضعيف (في غاية السقوط) فكأنه يرى أن الثقة (لا يخطئ) كما أن الضعيف (لا يحفظ).

2- اعتماده في أحكامه على بعض الكتب في الرجال ككتاب يحيى القطان⁽²⁾ وهو من المتشددين، وكتاب الأزدي.⁽³⁾

3- وفيه شذوذات، وكتاب الساجي.⁽⁴⁾

4- تجهيله الرواة الذين لا يعرفهم، كالإمام الترمذي - رحمه الله - وغيره.

5- وقوع التناقض منه في الحكم أحيانا.

6- خلطه أحيانا في أسماء الرجال، وتصحيحه لأسمائهم أحيانا.⁽¹⁾

(1) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 102، 103.

(2) يحيى بن سعيد بن فروخ، يفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة، التميمي، أبو سعيد القطان، البصري، ثقة متقن حافظ إمام قدوة، روى عن سليمان التميمي، والثوري، وخلق كثير، وعنه ابنه محمد والفلاس ومسدد وغيرهم، توفي سنة 198هـ أنظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط1، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ/1994م، ج 12، ص 189.

(3) محمد بن الحسين بن بريدة، الأزدي الموصلية، أبو الفتح، محدث، الحافظ، حديث عن أبي يعلى الموصلية والباغندي وطبقتهما، له كتاب الضعفاء والمتوكين، ذكره ابن خير في فهرسته، توفي سنة 394هـ، انظر: أبوبكر محمد بن خير الأموي، فهرسة ابن خير الإشبيلية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1419هـ/1998م، ص 198.

(4) الإمام الحافظ محدث البصرة أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الضبي، البصري الساجي، سمع عبيد الله بن معاذ العنبري، وهدي بن خالد وجماعة، جمع وصنف، وروى عنه أحمد بن عدي، وأبو بكر الإسماعيلي، وطائفة، له كتاب جليل في علل الحديث يدل على تجرجه في هذا الفن، توفي سنة 357 هـ.

7- وقد بين ابن حجر أن ما وقع فيه ابن حزم من أوهام شنيعة في التعديل والتجريح وتبيين أسماء

الرواة كان لثقته بمحافظته، فكان يهجم على القول في ذلك.⁽²⁾

ثالثاً: منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ذكر العلماء في تفسير الصحابي ما يلي:

1- تفسير الصحابي له حكم المرفوع، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أما ما يكون للرأي فيه مجال، فهو موقوف عليه مادام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- ما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال.⁽³⁾

3- ما حكم عليه بالوقف، تختلف فيه أنظار العلماء:

فذهب فريق: إلى أن الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه علم أنه اجتهد فيه، والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين. وذهب فريق آخر إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه، لظن سماعهم له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب، لأنهم أدرى الناس بكتاب الله، إذ هم أهل اللسان، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق

(1) ناصر بن حمد الفهد، الجرح والتعديل عند ابن حزم، ط1، أضواء السلف، الرياض 1423هـ/2003م، ص 24-32 باختصار، أنظر: طه بوسريج، المنهج الحديثي، ص 389، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دراسة كتاب المحلى، ج1، ص 6.

(2) ابن حجر، لسان الميزان، ص 229.

(3) أحمد القرطبي، المصدر السابق، ص 112.

النبوة، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا

سيما علماءهم، وكبرائهم كالأئمة الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس وغيرهم.⁽¹⁾

قال الزركشي⁽²⁾ في البرهان: أعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد، والأول: إما

أن يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده،

أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه...».⁽³⁾

أما رأي ابن حزم في ذلك فإنه لا يحتج بأقوال الصحابة إلا حيث أجمعوا إجماعاً واضحاً، لأنه لم

يرى حجة بعد نصوص الكتاب والسنة إلا في الإجماع، كما أنه يرفض التقليد بل يحرمه ومن ذلك تقليد

الصحابة أنفسهم.⁽⁴⁾

وفي المسائل التي وردت في الدراسة أمثلة لاستشهاد ابن حزم بقول الصحابي، إما استدلالاً، أو

لبيان من وافقه. مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ

بِهِ وَالْمُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾.⁽⁵⁾ فاستثنى تعالى من ذلك كله

(1) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 96.

(2) الإمام العلامة محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله الصنهاجي، الزركشي، أحد العلماء الإثبات، وعلم من أعلام القرآن وأحاديث وأصول الدين والفقهاء في القرن الثامن الهجري، لقب بالزركشي نسبة لصناعة الزركش. وهو شج الحرير، وكان يشتغل به قبل طلبه العلم، أكثر من التأليف والتصنيف، له مؤلفات عدة أشهرها البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط، توفي سنة 794هـ.

(3) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمان المرعشلي، وآخرون، ط2، دار المعرفة، بيروت 1415هـ/1994م، ص 312.

(4) نفسه، ص 313.

(5) سورة المائدة: الآية (3).

ما أدركت ذكاته، ولا نبال من أيهما مات قبل، لأن الله تعالى لم يشترط ذلك بل أباح ما ذكينا قبل الموت، فلو قطع السبع حلقها نحرت وحل أكلها، ولو بقي في الحلق موضع يذبح فيه ذبحت وحل أكلها... (1)

وفي قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَا عَلَيْكُمْ﴾⁽²⁾ قال أبو محمد: فلم يباح لنا الله تعالى ما أمسكن فقط ولا ما أمسكن على أنفسهن بل ما أمسكن علينا فقط، وبالمشاهدة ندري أنه إذا أكل منه فعلى نفسه أمسك ولها صاد فهو حرام... صح من طريق معمر، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: «إذا أكل الكلب المعلم فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه».⁽³⁾

رابعاً: منهجه في تفسير القرآن بأقوال التابعين.

اختلف العلماء - رحمهم الله - في الرجوع إلى تفسير التابعين والأخذ بأقوالهم إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ومجمل القول في ذلك: أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا ترك قوله ولا نعتمد عليه، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره. قال ابن تيمية: قال شعبة بن الحجاج⁽⁴⁾ وغيره: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير» يعي أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء

(1) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 145.

(2) سورة المائدة: الآية (4).

(3) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تح: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، ط1، دار العاصمة، السعودية 1421هـ، مج1، ص 435.

(4) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتنش بالعراق عن الرجال وذنب عن السنة، وكان عابداً، مات سنة 160 هـ. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص 436.

فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم،

ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك.⁽¹⁾

أما ابن حزم فإنه لا يحتج بقول التابعي مطلقا، وإنما يورد أقوالهم من باب ذكر من وافقه فحسب لا من

باب الاحتجاج. ومن الأمثلة على ذلك: في قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما

أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما نكيتم﴾.⁽²⁾ قال فاستثنى

تعالى من ذلك كله ما أدركت ذكاته، ولا نبال من أيهما مات قبل، لأن الله تعالى لم يشترط ذلك بل أباح

ما نكينا قبل الموت، فلو قطع السبع حلقها نحرته وأحل أكلها، ولو بقي في الحلق موضع يذبح

فيه ذبحت وحل أكلها... ومن طريق محمد بن المثني، نا عبد الله بن داود الخريبي، عن أبي شهاب -

هو موسى بن رافع - عن النعمان بن علي قال: رأى سعيد بن جبير في دارنا نعامة تركض برجلها.

فقال: ما هذه؟ قلنا وقيد وقعت في بئر، فقال: ذكوها، فإن الوقيذ ما مات في وقذه.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتوهن أجورهن﴾.⁽⁴⁾ قال:

وجائز للمسلم نكاح الكتابية وهي اليهودية، والنصرانية، والمجوسية بالزواج، ولا يحل له وطء أمة غير

مسلمة بملك اليمين، وإنما أباح المحصنات الكتابيات بشرط إبتائهن الأجور، وإبتاؤهن الأجور لا يكون إلا

(1) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 101، انظر: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين،

تلخ: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1416هـ/1996م، ج4، ص 135، ابن كثير،

المصدر السابق، ص 5، الذهبي، التفسير والمفسرون، ص 128.

(2) سورة المائدة: الآية (3).

(3) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ص 129.

(4) سورة المائدة: الآية (5).

في الزواج لا في ملك اليمين، وهذا مما لاشك فيه عن أحد، فبطل أن يكون المراد بالإباحة المذكورة الإماء الكتابيات، فبقين على أصل التحريم ؟ (1)

خامسا: منهجه في تفسير القرآن باللغة.

والمقصود به تفسير القرآن بلغة العرب، وسبب اعتبار هذا طريقا من طرق التفسير هو: نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب، قال تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾. (2) بحيث نزل القرآن بلغة قريش التي كانت مزيجا من لهجات العرب الذين كانوا يتوافدون عليها بسبب أسواقها الموسمية. (3)

وقد اعتمد الصحابة والتابعون على اللغة في تفاسيرهم، واستشهدوا بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن. وتتضح أهمية اللغة ومكانتها في تفسير القرآن الكريم في نظر ابن حزم من تأكيده أن تفسير القرآن بلغة العرب التي أخبر الله تعالى أنه نزل بها القرآن، (مما لا يجوز العدول عنه عند عدم وجود آية أو حديث في تفسير الآية). (4)

ومن الأمثلة على ذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْوَالَهُمْ لَباطِلٌ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ...﴾. (5)

قال: واسم الولد يقع على الابنة، وبنات الابن كما يقع على الابن وابن الابن في اللغة وفي القرآن. والعجب من مجاهرة بعض القائلين هنا، إنما عنى ولدا ذكرا، وهذا إقدام على الله بالباطل وقول عليه بما لا يعلم، بل بما يعلم أنه باطل. (1)

(1) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 102.

(2) سورة الشعراء: الآية (195).

(3) ابن تيمية، المصدر السابق، ص 103.

(4) مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، ط3، دار ابن الجوزي، الدمام 1420هـ/1999م، ص 41.

(5) سورة النساء: الآية (176).

المبحث الثاني: أشهر مسائل الخلاف الكلامية.

المطلب الأول: مسألة الإيمان ومقتضياته.

من المهم أن نوضح هنا، أن ابن حزم اعتنى اعتناء بالغًا بمسائل العقيدة "فكأنه فيلسوف إلهي يصنف في الإلهيات". إن المستقرئ لمفهوم الإيمان والباحث في كتب العقائد يصاب بالصدمة، جراء الاختلافات البينة، بل والمتعارضة في تحديد مفهوم الإيمان، بين مختلف الطوائف الكلامية وقد نقل لنا أبو محمد آراء مختلف الفرق، في بيان ماهية الإيمان، مؤكداً على أن هذا المصطلح يجب أن يفهم، وفقاً للغة الشرع، وليس وأما من قال: إن الإيمان: «إلى لغة العرب، لأنها الحجة في فهم الشرع»⁽²⁾ ومما ذكره عن بعضهم عقد بالقلب وقول باللسان دون الأعمال فبدعة سوء، إلا أن قائلها لا يكفر بذلك عند كثير من الناس، وابن حزم يقصد بذلك، الكرامية والمرجئة والجهمية... الأمة لم تُجمع على تكفيره والأشعرية، حيث ذهبت الأولى إلى كون الإيمان اعترافاً باللسان وحده، وأنه يكفي بدون عمل، في حين قررت المرجئة، أن الإيمان قول واعتقاد فقط، أما العمل فغير ضروري ولا يهم، لأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. بخلاف الجهمية التي أكدت على أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب واعتقاده، وعلى ذلك أهدرت الأقوال والأعمال كلية، وفي الطرف النقيض لهؤلاء غلت المعتزلة والخوارج، فرفعوا الأعمال إلى مستوى العقائد، وجعلوا مرتكب الكبيرة خارجاً من دائرة الإيمان، داخل في الكفر ومستحقاً للخلود في النار.⁽³⁾

وأول ما يلزم كل أحد، ولا يصح: «أما القول الفصل والصحيح في مسألة الإيمان، فهو ما ذكره أبو محمد الإسلام إلا به، أن يعلم المرء على يقين وإخلاص لا يكون لشيء من الشك فيه أثر، وينطق

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ص 101-103.

(2) مساعد بن سليمان الطيار، المرجع السابق، ص 43.

(3) ابن حزم، المحلى، ص 22.

بلسانه، فيلزم من ذلك أن يسقط كل ما موهت به تلك،⁽¹⁾ ولا بد بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله قول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة: ولم يبق لها حجة إلا أن تقول القول الصحيح وهذا قول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة: ⁽²⁾ فلا يجب فصل الاعتقاد والقول عن أداء أهل السنة ... من أن الإيمان عقد وقول وعمل العمل، لأن العمل ركن من أركان الإيمان، وهو شرط صحة لا شرط كمال كما ترى المرجئة. ومعنى ذلك أنه بزوال العمل كله يزول الإيمان، وهذا بخلاف أهل الإرجاء والكرامية الذين يرون أنه وإن زال العمل كله، فإن الإيمان لا يزول، وما ذلك إلا لأن الكفر عندهم لا يكون إلا بالتكذيب، وبالمقابل الإيمان هو التصديق بالقلب بكل: « يكون الإيمان بالتصديق وحده. وهو ما لا يقرهم عليه أبو محمد، إذ ما أمر الله تعالى به، على لسان رسوله والنطق باللسان، ولا بد من استعمال الجوارح في جميع الطاعات». ⁽³⁾

المطلب الثاني: مسألة الإسلام والكفر.

ومما يبين أن اسم الإيمان في الشريعة منقول عن موضوعه في اللغة، وأن الكفر أيضا قال: أبو محمد كذلك، فإن الكفر في اللغة: التغطية... وسمي الليل كافرا لتغطيته كل شيء، ثم نقل الله تعالى اسم الكفر في الشريعة إلى جحد الربوبية... أو جحد شيء مما أتى به رسول الله... أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر...» ⁽⁴⁾ ومراد ابن حزم بذلك أن اللغة المستخدمة في الشرع، ليست كاللغة العربية. ونقل ابن حزم مختلف آراء الفرق في مسألة ⁽⁵⁾ الكفر، مركزاً على مبدأ هام، تمثل في أن إثبات الإيمان أو نفيه، وبالتالي الوقوع في الكفر الذي هو من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى: « من نواقض الإيمان،

(1) نفسه ص 23، 24.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 184.

(3) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 67.

(4) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، مج 2، ص 202.

(5) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 68.

إنما يقع وفق مقتضى الشرع، فالكافر هو الإيمان به، بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه...أو بلسانه... أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان وقد تشعب الحديث عن لفظ "الكفر" وعلى من يطلق. فذكر ابن حزم اختلاف الناس في هذا الباب: فيمن يكفر ومن لا يكفر خاصة وأن أهل الكلام أبدعوا في تكفير بعضهم، دون اللجوء إلى ضوابط أو قواعد تحدد فعلهم هذا.⁽¹⁾

وقد ذهب أبو محمد إلى أن لله أسماء وردت بها النصوص، ولا يجب أن نتعدها بالزيادة فيها أو النقصان منها... وجملة ذلك أننا لا نسمي الله تعالى إلا بما سمي به نفسه⁽²⁾ لولا أن السمع قد ورد بسائر الأسماء التي ورد الخبر الصادق لها، ما جاز لنا أن نسمي، كما يقرر فيه بصرامة أنه لا يحل لأحد أن يسمي الله بغير ما سمي به نفسه. فمنع تعالى أن يسمي إلا بأسمائه الحسنى.⁽³⁾

المطلب الثالث: مسألة الصفات.

ليس من المبالغة في شيء، إن اعتبرت مسألة الصفات المحور الرئيس، الذي تدور عليه رحى مباحث الإيمان، حيث طرحت إشكاليات عدة منها: هل لله صفات؟ وإن كانت موجودة فهل هي جائزة له تعالى أم واجبة؟ ثم أهى عين الذات أم غيرها؟ أم لا هي هو، ولا هي غيره؟ فالبعض نفى وأنكر أن تكون لله صفات، لأنها ستكون غير الله، وما كان غير الله فهو محدث مخلوق، وأما الذين أثبتوها فتنازعوا هم أيضاً.⁽⁴⁾ وقد علق عبد الرحمن بدوي على هذه المسألة بقوله والتحقيق أن من قال: الصفات غير الذات، نظر إلى أن الصفة قائمة بالذات، وتقدم الذات من الضروريات. ومن قال: الصفات عين الذات نظر إلى

(1) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 331.

(2) ابن حزم، المحلى، ص 49.

(3) نفسه، ص 50.

(4) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 324.

أن الذات غير منفكة عن الصفات، ومن قال: لا عين ولا غير، نظر إلى أنها لو كانت عينا لكانت ذاتاً، ولو كانت غيراً، للزم التركيب وهو من المحالات.⁽¹⁾

المبحث الثالث: موقف ابن حزم من الفرق الإسلامية.

وكان ابن حزم يمثل هذا بحق، فقد " انخرط في الواقع السياسي والاجتماعي، وأصبح وزير الأمويين بالأندلس، كما عاين عن كثب الواقع الثقافي والعقدي، وتعمق في دراسته، وأثمر ذلك كله اجتهادا فقهيا ثريا يتراءى في كتابه: المحلى، وفكرا عقديا حيا، يتراءى في كتابه: الفصل في الملل والأهواء والنحل."⁽²⁾ ورغم كل ذلك فلم سيلم ابن حزم من الوقوع في الخطأ، ولقد أحصى الفقهاء عليه أخطاء شنعوا بها عليه،⁽³⁾ وجعلوا منها منظومة نقد تقدم بين يدي دراسة فقه ابن حزم للتدليل على شذوذه. ولكن الفقيه الأصولي الذي يحاول الفقه بالمنهج الصحيح، ويدرك أن تلك الفتاوى المعودة خطأ هي من صدق تطبيق المنهج. وابن حزم جاء بمنهج ولم يأت بفتاوى، وفقهه فقه تطبيقات لهذا المنهج المطروح بديلا ومشروعا. ولقد أدرك ذلك الفقيه الحنبلي ابن قيم الجوزية المتوفى سنة: 751هـ، الذي قرأ ابن حزم قراءة صحيحة رغم مخالفته له، ولذلك كلما وصل إلى قضية يخالف فيها ابن حزم غيره، قال: " هذه الطريقة هي اللاتقة بظاهريته."⁽⁴⁾

وقال: " وهذا هو اللائق بظاهريته."⁽⁵⁾

ويسميه في كتابه هذا، منجنيق الغرب لمكانته العلمية.⁽⁶⁾

(1) عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت 1997م، ص445.

(2) نفسه، ص 446، 447.

(3) مثل فتواه في نجاسة الماء الراكد، انظر: ابن حزم، المحلى، ج1، ص157.

(4) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي حير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط22، بيروت 1989، ج2، ص 264.

(5) نفسه، ج5، ص100.

(6) نفسه، ج5، ص522.

والواقع الذي انخرط فيه ابن حزم يقتضي منه أن يلم بكل ما فيه من حركة اجتماعية وثقافية وبلاد الأندلس، أمشاج من الثقافات والتيارات تموج حركة الفكر بها، نظرا لتعلقها بالتيارات العرقية المتدافعة فيها.

وابن حزم الذي ينشد منهاجا تجديديا لم يمهل هذا بل أدركه حق إدراكه وأعطاه الأهمية البالغة، وأفرد له كتابا سماه "الفصل في الأهواء والملل والنحل"، استعرض فيه التيارات الدينية الإسلامية المتمثلة في الفرق الكلامية، كما استعرض فيه الديانات الأخرى: اليهودية، المسيحية، والمجوسية.

ولقد أسس ابن حزم الحوار الفقهي، في كتابه الإحكام، وهو حوار إسلامي، إذ يقول في المقدمة: "وجعلنا هذا الكتاب بتأييد خالقنا عزّ وجل لنا، موفيا للحكم فيما اختلف فيه الناس من أصول الأحكام الديانة." (1) وحاجته منه "أن ينبه علماء عصره إلى اليقظة الذهنية... ويدعوهم إلى النظر في الأمور نظرة نقدية فاحصة." (2) ويبين ما بني على ذلك من أحكام أو استخراج من فروع في كتابه المحلى

الفصل الثالث:

مذهب ابن حزم الفقهي خصائصه

وعقائده.

(1) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص 8.

(2) إحسان عباس، مقدمة الإحكام، ص ك.

المبحث الأول: مذهبه الفقهي.

المبحث الثاني: خصائص المذهب الظاهري.

المبحث الثالث: عقائد المذهب الظاهري.

الفصل الثالث: مذهب ابن حزم، خصائصه و عقائده.

المبحث الأول:

مذهبه:

كشأن أكثر أهل الأندلس عامة، وذوي المناصب منهم خاصة، تلقى ابن حزم الفقه المالكي في صدر دراساته الفقهية، لأنه المذهب السائد في الأندلس، ولأن الفقهاء الذين ذكر أنه تلقى عليهم العلم كانوا مالكيين، فابن دحون كان فقيها مالكيًا عليه مدار الفتيا في قرطبة، وقد تتابعت قراءة ابن حزم الفقه

عليه، وعلى غيره من العلماء، ثم عدل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعي، ولم يعرف سبب تحوله إلى مذهب الشافعي ولا على من تلقى المذهب الشافعي، ولكن الذي يظهر أن ابن حزم القارئ الباحث قد اطلع على نقد محمد بن إدريس الشافعي⁽¹⁾ لمذهب الإمام مالك. فتلاقى روح النقد والتحرر الفكري الذي ظهر في ابن حزم، مع المأثور من كتابات الشافعي، كما أنه من المحتمل أنه وجد في الأندلس علماء من الشافعية لأن لم يكن المذهب مشهورا معروفا فيها، ووجد علماء لهم اختيار في الفقه من المذاهب الأربعة، يسيطر عليهم مذهب منها، وإن لم يتقيدوا به في اختيارهم، وعلى هؤلاء تلقى ابن حزم الفقه الشافعي، وقد يكون تلقيه عن هؤلاء بالقراءة لهم، أو قد يكون التقى ببعضهم، فبقي ابن حزم شافعيًا مدة حتى اشتهر به ونسب إليه، ولكن روح ابن حزم التي لا ترضى بأن تبقى في إطار مذهبي لا تعدوه لم ترض أن تبقى ساكنة تحت سلطان المذهب الشافعي.⁽²⁾

فانتقل إلى المذهب الظاهري، ولا شك أن لتحول ابن حزم إلى المذهب الظاهري أسبابا لعل من أبرزها: دراسته للمذهب الشافعي وتضلعه من كتبه حيث أثر ذلك في فكره، فاكتسب روح المجادلة والمناظرة للبحث عن الحق، كما أن رسوخ قدمه في علم الحديث ومحبته له جعلته لا يبتغي بغيره بديلا، ولا يرضى عنه تحويلا، فكل ما وافق الدليل فهو حق، وكل ما خالف فهو باطل لا عبرة به، ومنها ورع ابن حزم

(1) أبو عبد الله محمد إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي، المطلبي، الشافعي، ولد سنة 150 بغزة فحمل إلى مكة لما فطم فنشأ بها، وأقبل على العلوم، حدث عن عمه محمد بن علي، ومالك وجماعة، وعنه حدث أحمد بن حنبل والحميدي، وأبو ثور، قال فيه أحمد بن حنبل: ما أحد مس محيرة ولا قلما إلا وللشافعي في عنقه منة، توفي سنة 204هـ بمصر. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص 361.

(2) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 36، 37.

وخشيته أن ينسب إلى دين الله ما ليس منه برأي أو قياس أو استحسان، فأقبل على ظاهر النصوص وأدبر عما سواها⁽¹⁾ وفي ذلك يقول:

أشهد الله والملائكة أنني لا أرى الرأي والمقاييس دينا

حاش لله أن أقول سوى ما جاء في النص والهدى مستبينا

كيف يخفى على البصائر هذا وهو كالشمس شهرة وبقينا⁽²⁾

ومما لا شك فيه أن ابن حزم قد تأثر بكتب أبي الحكم منذر بن سعيد القاضي⁽³⁾ الذي عده من مفاخر الأندلس ووصفه بالقوة في الانتصار لمذهبه الظاهري، كما أن ابن حزم عاصر أحد أصحاب المذهب الظاهري في الأندلس سليمان بن مفلت، وأخذ عنه على ما يظهر القول بالظاهر حتى صار فيه إماما، لكن ابن حزم حين أخذ بالظاهر لم يكن فيه كشأن تابعي المذاهب، وإنما خالف فيه داود⁽⁴⁾ في كثير من المسائل الأساسية، بحيث يمكن القول بأن ظاهريته منهجية لا مذهبية، وبأن لابن حزم نظراته الخاصة، التي جعلت الكثير يسمون اجتهاده الفقهي بالمذهب الحزمي أو «الحزمية»⁽⁵⁾ ويؤكد ذلك قول ابن حزم « ولا يجهل علينا جاهل فيظن أننا متبعون مذهب الإمام أبي سليمان داود بن علي، إنما أبو

(1) علي بن محمد باروم، مسالك الترجيح التي ردها ابن حزم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة أم القرى، السعودية 1417هـ/1997م، ص 77-79.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 205، 206.

(3) منذر بن سعيد القاضي أبو الحاكم يعرف بالبلوطي، منسوب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحاكم المستنصر بالله وكان عالما فقيها، وأديبا بالغا، وقال ابن حزم، كان مائلا إلى القول بالظاهر، قويا في الانتصار لذلك، من مصنفاته كتاب الأنبياء على استنباط الأحكام من كتاب الله، وكتاب الإبانة توفي سنة 355هـ انظر: أبو عبد الله محمد بن حارث الحسني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ط3، مكتبة الخانجي القاهرة، 1415هـ/1994م، ص 175، محمد الحميدي، المصدر السابق، ص 326.

(4) هو أبو سليمان الظاهري، داود بن علي خلف الاصبهاني، ولد سنة 200، تفقه بإسحاق ابن راهوية وصنف التصانيف، وكان بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه، توفي سنة 270هـ.

(5) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 89.

سليمان شيخ من شيوخه، ومعلم من معلمينا، إن أصاب الحق فنحق معه إتباعا الحق، وإن أخطأ اعتذرنا له، واتبعنا الحق حيث فهمناه، وبالله التوفيق». (1)

المذهب الظاهري:

وإن كان للظاهرية أتباع بعد داود باصبهان وبغداد إلا أن دورهم لم يكن كبيرا يذكر لا في السياسية ولا في الحياة الاجتماعية، وأفكارهم لا بد وأن تترك أثرا في الفكر الإسلامي، وكل حركة لا بد وأن تجد لها أنصارا - ففي المشرق انجذب بعض الناس لما رأوا من الدعوة إلى إعلاء مقام السنة النبوية في وقت كثير فيه الكلام علي الاعتزال وتعددت المذاهب، وكثرت الفرق والفلاسفة والصوفية والزنادقة، فلما جاء داود جعل الباب مفتوحا لكل أحد أن يجتهد، فحتى الجزارين والفحاميين لهم أن يجتهدوا، ولم يقيد ذلك بقيد، بل قاوم التقليد وطلب من الناس أن يشرعوا لأنفسهم، ولكن لم يتبعه كثرة فالقليلون الذين كانوا على رأيه انقرضوا بعده بقرن واحد ولو لم ينتقل المذهب إلى الأندلس لكان مصيره مصير المذاهب الأخرى المنقرضة. (2)

المبحث الثاني: خصائص المذهب الظاهري:

الأخذ بظواهر النصوص وهي خاصية امتازوا بها عن سائر المذاهب الأخرى وهذا الذي أعطاهم اسم الظاهرية، أما نفهم القياس فقد يوافقهم فيه بعض العلماء من المذاهب الأخرى. وتظهر طريقتهم في الأخذ بظواهر النصوص عند استنباط الأحكام منها:

(1) مؤلف مجهول، من تلاميذ الذهبي، من أعيان القرآن الثامن المورد الأحملي في اختصار المحلى، فقه، نسخ معتاد، مكة

المكرمة: مكتبة الحرم الملكي الشريف، نسخة مصورة، ص 14.

(2) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 85.

فالأمر عندهم يقتضي دائما الفور إلا إذا جاء نص يدل على التراخي، وهو يقتضي الوجوب إلا إذا ثبت بنص على حكم آخر. واللفظ يحمل على عمومه لأنه الظاهر إلا إذا ثبت تخصيصه بنص آخر. قال ابن حزم: العمل في أوامر القرآن ونواهيها على الظاهر والوجوب والفور وأي القرآن تحمل على عمومها،⁽¹⁾ كما أن فهم النصوص على ظاهرها أمر طبيعي وهو الأصل لأن تحميل اللغة من المعاني التي لا تحملها ضرب من الجور بالرأي، وما ذهب إليه أهل الباطن في تأويل النصوص الشرعية أخرجهم عن الشرع وأوقعهم في الهذيان.⁽²⁾

فالمذهب الظاهري من هذه الناحية أوجه، فالإسلام دين الفطرة، والعربية لغة تلقائية وكل كلمة إنما وضعت لمسمى لها، وإطلاقها على غير ما وضعت له يخرج المعنى من معلوم إلى مجهول، فقولهم بالظاهر وجبه لكن على شرط أن لا يكون مطلقا وإلا وقعوا في التطرف كما وقع أهل الباطن وصار الفريقان فريق يحمل الكلام أكثر مما يتحمل وهم الباطنية، وفريق لا يأخذ إلا بالظاهر المطلق فيكون ساذجا غير موف لحق الكلام. فالأولى أن يأخذ العاقل بالظاهر فيما هو ظاهر، وأن يبحث عن المعنى إذا أخفت اللغة منه جزء، وليسوا وحدهم في هذا، فقد قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في شرح الحديث الشريف ينزل ربكم إلى سماء الدنيا. قال: ينزل كنزولي هذا. وينزل من أعلى المنبر درجة. هذا من باب حمل الكلام على ظاهره، وقد أفاض ابن حزم الكلام على حمل النص على ظاهره لأنه أصل الخلاف بين الظاهرية ومخالفهم.⁽³⁾

نفهم للقياس والاستحسان والمصالح المرسلّة وسد الذرائع والإجماع وعمل أهل المدينة:

(1) نفسه، ص 86.

(2) القاضي النعمان بن حيان، كتاب دعائم الإسلام وهو قاضي بني عبيد ومدون فقههم. كذلك غوامض الصوفية كما توجد في شعر ابن الفارض وابن عطاء الله.

(3) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ص 85.

قال داود: الأصول: هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنع أن يكون القياس أصلاً من الأصول، وقال أول من قاس إبليس. فقيل له: كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي؟. قال أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان، فوجدها تبطل القياس.⁽¹⁾ وأحسن ما يرجع إليه في أقوال داود هو ما يرويه عنه مدون مذهبه ابن حزم. قال: فأين للقياس مدخل، والنصوص قد استوعبت كل ما اختلف الناس فيه، وكل نازلة تنزل إلى يوم القيامة باسمها.⁽²⁾

إذا فالقياس عند ابن حزم كما قال فيه: لم يأذن به الله تعالى ولا أنزل به من سلطان. أما الاستحسان فكما أبطله داود فقد أنكره كل الظاهرية وكذلك المصالح المرسله وسد الذرائع والإجماع وعمل أهل المدينة. وهذا الأصل الأخير أي عمل أهل المدينة هو الذي أثار ثائرة ابن حزم، يقول إن عمل أهل المدينة يجب أن يكون مجمع عليه من طرفهم أي أن كل العلماء اتفقوا عليه، وقد بحث في إجماعهم هذا، فوجد واحداً غير موافق لما أجمع الناس عليه ألا وهو موسى بن طلحة بن عبد الله المدني، وهو ليس من كبار الفقهاء ولا ممن له ذكر كبير في هذا الميدان، أما عن قولهم في المد والصاع فليس بموجب لقبول قولهم في غير ذلك وإلا لوجب تقليد أهل مكة في جميع أقوالهم.⁽³⁾

لاتفاق الأمة كلها يقينا، بلا خلاف من أي أحد منهم على قبول قولهم في موضع عرفة وموضع مزدلفة وموضع منى وموضع الجمار وموضع الصفا والمروة وحدود الحرم.. وهذا عليه، لأن عمل أهل المدينة كاتفاق أهل مكة على حدود الحرم ومواقع الشعائر... فأهل مكة علماءهم، وعوامهم وخواصهم يتفقون على ذلك، فلو خالف مخالف في حدود الحرم أو موقع مزدلفة، لا يلتفت إلى خلافه، وعمل أهل المدينة هو ما أخذ من السنة الشريفة ودخل في حياة الناس اليومية واتفق الناس عليه، اتفاق تسليم أنه من

(1) سعيد الأفغاني، مقدمة رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم، ط1، دار الفكر، بيروت 1969، ص 62.

(2) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، ص 106.

(3) نفسه، ص 107.

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالترجيح في الأذان روي جل عن جل من عهد صاحب الشريعة إلى يومنا هذا، وكذلك المد والصاع وترك الجهر بالبسملة في الصلاة... الخ وإن خالف مخالف في ذلك فلا يؤبه به، والجدل في هذا من باب العناد وهو إجماع فقهاء المدينة وطباق العوام للخواص كما يقولون وليس بقول مالك الشخصي⁽¹⁾ ولو لم يجد العمل عليه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال به.

وليس مالك رحمه الله ممن يتعمد القول خلافا للسنة، ولكنه اجتهاد الأئمة الفقهاء اختاره عن اجتهاد وهو إمام يقتدى به تام الإمامة جليلها. إلا أن بعض الشافعية والظاهرية يرون رأيهم الشخصي في هذه القاعدة. فلهم آراءهم، وللمالكية أيضا، وأحسن من رد على ذلك عياض في مداركه كما مر قريبا، وكذلك الشنقيطي في كتابه قمع أهل الرأي والإلحاد عن الطعن في أئمة الاجتهاد وقد وقع في هذا الجدل ومناقشة الإمام مالك أبو حامد الغزالي عل جلاله قدره. قال: إن المدينة لم تجمع كل العلماء... الخ.⁽²⁾

أما ابن حزم فقد تجاوز إلى الثلب والطعن، وأنها بلد المنافقين الذين قال فيهم تعالى: ومن أهل المدينة مردوا على النفاق، لا تعلمهم نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين... نعم. وجد منافقون بالمدينة، لكن أهل المدينة لم يقلدوهم ولم يروا رأيهم وأن عمل أهل المدينة مستمد من السنة لا من عمل المنافقين، والمدينة خير لهم، يدل على أنها خير بصريح الآية الكريمة فضائل المدينة في الأحاديث الشريفة كثيرة، وقد ألف الكثيرون في فضائلها⁽³⁾ أنها بلد الإيمان، ولم ير ابن حزم فضائلها ولكنه تعلق بالمنافقين الذين عاشوا فيها فترة ثم انقضوا، وما كان لهم دور في التشريع ولا قاموا بأي عمل، فإذا ما وجد فيها منافقون أو يهود أو نصارى، وجب تركها، وعدم إجلالها؟ على أن القرآن بها نزل، وأحل الحلال وحرم الحرام، وبها عاش

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: ابن تاويت الطنجي، ط1، مطبعة فضالة، المغرب 1965م، ص 67.

(2) نفسه، ص 68.

(3) انظر: باب فضل المدينة في صحيح البخاري ومسلم، وأحمد في المسند، ص 181.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهى أيام رسالته، وبما عاش جل الصحابة. وإنما لنجد أخطاء جمّة في أكثر ما يقوله ابن حزم مناقشة لخصومه. فهو يروي « أن مالكا لم يدع إجماع أهل المدينة في موطنه إلا نحو ثمان وأربعين مسألة فقط، والصحيح أنا أكثر من ذلك، فهي مائتين وست وخمسين مسألة.⁽¹⁾ ويزيد أن مراد المالكية بالدعاء إلى أهل المدينة هو وجوب طاعتهم. وهذا لم يقله واحد من المالكية، لكن ابن حزم لا ينصاع لحجة ولا يسلم بإجماع، مما يجعل لكل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الحق في الاجتهاد والبحث، على شرط أن لا يخالفه وإلا لاقى مصير المخالف نفسه من السخرية وهتك العرض، وهو يسكت بمنطقه ولا يقنع، وقد عاش يشاكس ويشجب إلى أن لاقى ربه غفر الله له.

الإجماع:

المعتمد عند الظاهرية أصلا في الشرع هو إجماع الصحابة. قال أبو سليمان: أي داود. لا إجماع إلا إجماع الصحابة رضي الله عنهم، واحتج في ذلك بأنهم شهدوا توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صح انه لا إجماع إلا عن توقيف، وأنهم أيضا كانوا جميع المؤمنين، لا مؤمن من الناس سواهم، ومن كانت هذه صفاتهم فإجماعهم هو إجماع المؤمنين وهو الإجماع المقطوع به، وأما كل عصر بعدهم فإنهم بعض المؤمنين لا كلهم وليس إجماع بعض المؤمنين إجماعا إنما الإجماع إجماع جميعهم. وأيضا فإنهم كانوا عددا محصورا يمكن أن يحاط بهم وتعرف أقوالهم، وليس من بعدهم كذلك.⁽²⁾

العمل بخبر الآحاد في العقائد والأعمال:

قال أبو سليمان والحسن بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد الحاسبي: أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل معا. وبهذا نقول: وقد ذكر هذا القول أحمد

(1) ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، ص 172.

(2) ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، ص 509.

بن خويز منداد⁽¹⁾ عن مالك بن أنس. وقال الحنفيون والشافعيون وجمهور المالكيين وجميع المعتزلة والخوارج: أن خبر الواحد لا يوجب العلم⁽²⁾ وما دام ابن حزم اخذ بأحاديث الآحاد في العلم والعقيدة كما أخذ الكثيرون من أتباع داود وغيره من العلماء وهناك أمور غيبية اعتمدها أهل القبلة بأخبار آحاد، مثل عذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام⁽³⁾ وليسوا هم وحدهم في هذا.

منع التقليد مطلقا على الخاصة والعامة:

لا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا، وعلى كل أحد أن يجتهد حسب طاقته. برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض أولي الأمر، فمن قلد عالما أو جماعة من العلماء فإنه لم يطع الله تعالى، ولا رسوله الله صلى الله عليه وسلم ولا أولي الأمر، ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل، وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا إجماع، ولا قياس؟ وما كان هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل⁽⁴⁾... ابن حزم يقول هنا بالقياس إن كل ما أمر الله به في كتابه واجب طاعته والعمل به. وكل ما جاء عن رسول الله كذلك، وما أمر به أولوا الأمر واجب العمل به، لكن فروع المسائل لا يمكن لكل أحد أن يجتهد، وإلا تجرأ العامة على العلم وشرعوا لأنفسهم، ومن شرع لنفسه لا دين له: وهذا أكبر ما يؤخذ على الظاهرية، إذ جعلوا مسائل الدين هينة المدخل لكل أحد، وعلى قولهم كل من له معرفة ولو بسيطة باللغة والمسائل الدينية أن يجتهد وعناد العلوم عناء كبير، فلو فتح باب الاجتهاد أمامهم لصخروا من كل فحول العلماء، ولقبوا

(1) محمد بن أحمد بن خويز منداد: أبو بكر من علماء المالكية في الأصول. كان تلميذ الأبهري بصري، سكن بغداد.

انظر: ابن فرحون، الديباج، ص 268.

(2) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 107.

(3) ابن حزم، المحلى، ص 65.

(4) ابن حزم، المحلى، ص 66.

المسائل ظهرا على عقب ولربما تحزب كل جماعة إلى داهيتهم وأصبح عند الناس من المذاهب والنحل أكثر بكثير مما عند بني إسرائيل.⁽¹⁾

فقد قلد الصحابة رسول الله، وقلد التابعون الصحابة وقلدهم تابعوهم، الناس كل إمام يرون فيه القدوة في دينهم، نعم إذا صار المسلم في درجة من النضج والتحصيل ورجاحة العقل، فلا بأس أن يبحث عن دينه في كتب السنة وأن لا يتقيد بمذهب فهو يقلد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا صح الأثر عنده، وهذا الأثر قد يرويه مالك أو أحمد أو أبو حنيفة أو سفيان الثوري. أما أن يقول للعلوم أو أنصاف العلوم اجتهدوا واتخذوا لأنفسكم مذهبا أو لا تتمذهبوا، فهذا هو الخور والتكليف بما لا يطاق. وقد قال الفاروق رضي الله عنه: اللهم إيماننا كإيمان العجائز، ولا يستطيع إلا القليل من العلماء أن يكذب ذهنه في اختيار النصوص والعمل بها، فكيفا بالمساكين العلوم الضعفاء العقول. ويكفي أهل الظاهر أن جعلوا من هذا الخطأ في الرأي قاعدة لمذهبهم... الخ، هذه هي قواعد المذهب، وهي خاصة تميزه عن المذاهب الأخرى.⁽²⁾

ولنقل كلمة عن الفقه الظاهري لأن له طابعا خاصا. فهو يبدو أحيانا صعبا وأحيانا سهلا يسيرا، وهو

يقف أحيانا وسطا بين المذاهب، وأخرى بعيدا عنها كقولهم: أواني الذهب والفضة يحرم الشراب والأكل فيها، ولا يحرم كسبها... واجب الاستيائك بالأراك أو غيره، في الوضوء (على رأي إسحاق بن راهوية شيخ داود) وإذا توضأ أحد وصلى دون أن يستاك فصلاته باطلة، الخمر محرم، لكنه غير نجس. لا يلزم الوضوء لحمل القرآن أو قراءته.⁽³⁾

(1) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص 108.

(2) نفسه، ص 109، 110.

(3) ابن حزم، المحلى، ص 68.

لمس المرأة ولو كانت طفلة عمرها ساعة يوجب الوضوء لقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ولو كان لمسا بإصبع. عند قضاء الحاجة لا يكره استقبال القبلة ولا استدبارها خلافا للمالكية. الوضوء لا يصلح إلا لخمس صلوات وينتقض بعد إكمال الخامسة. وقال أحد قضاتهم وهو عبد الله بن عمر (1) ذكر الله تعالى في الوضوء واجب ومن غفل عنه فوضوءه باطل. وقال آخرون منهم حتى في غسل اليدين كلما دعت الحاجة إلى ذلك... في الوضوء غسل اليدين إلى المرفقين ليس بواجب، بل قريب منهما يكفي، وهو رأي زفر صاحب أبي حنيفة رحمها الله.

الغسل لا يجب عندهم إلا بالإنزال، وفقا للحنفية وخلافا للمالكية.

إذا أجنبت المرأة ثم حاضت وجب عليها غسلان، غسل للجنابة وآخر للحيض خلافا للمذاهب الأخرى.. الجنابة لا تمنع من قراءة القرآن. (2)

يجوز المسح بالماء في الوضوء على الخفين والجوارب والحذاء ولو كان مخروقا خلافا للمالكية... للحائض أن تغسل محل الأذى أثناء الحيض وأن تصل زوجها، يتبين بعد هذا، أن المذهب يسهل أحيانا ويشدد أخرى. فهو صعب سهل.

في التفسير لا يجوز عندهم استعمال اللغة الجاهلية أو الاستشهاد إشعار العرب الجاهليين ولا العرب الغير المسلمين، فلا يجوز الاستشهاد بشر النابغة ولا امرئ القيس ولا الأخطل في تفسير لغة القرآن الكريم. والظاهرية أشد الناس على الحنفية والمالكية، وعلم أتباعهم ويرون أنهما من أهل الرأي لا يجوز تقليدهما ولا اتباعهما ويلومون الشافعي بتركه للرأي والقياس وعدم تحريمهما عنده بل يقولون أنه يأخذ

(1) توفي سنة 376هـ/986م. كان قاضي خراسان وفقهه الظاهرية بها.

(2) ابن حزم، المحلى، ص 69.

بالقياس عند الحاجة الملحة لذا لم يكن في رأيهم بالمثالي، كما أنهم يلومونه على عدم تعريفه الإجماع ووضع حد له ويقولون: إن الإجماع عند الشافعي غير واضح. وهو غير عالم بالحديث.⁽¹⁾

المبحث الثالث: عقيدة ابن حزم ومناقشته.

المطلب الأول: عقيدته.

لا تخرج عقيدة ابن حزم عن عقيدة أهل السنة والجماعة رغم مخالفته لهم في بعض المسائل، وهذه بعض مواقفه العقائدية:

أولاً: رأي ابن حزم أنه من التوحيد ونفي التشبيه نفي الجسمية والعرضية والزمانية والمكانية والحركية مطلقاً، وله أدلته على كل واحدة منها،⁽²⁾ وكان الأليق بابن حزم والذي يتمشى مع مذهبه الأخذ بالظاهر، وعدم وصف الله - تعالى - وتسميته إلا بما ورد، وأن لا ينفى عنه - تعالى - ما لم ينفه عن نفسه، ولم ينفه عنه رسوله ولا صحابته، لأن التوحيد بهذا النفي لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، والذي ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في الجسمية والعرضية والزمانية والمكانية عدم إطلاق هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا، لأنه بدعة، لما في إثباتها، ونفيها من التلبيس والإبهام، بل لا بد من الاستفسار، والاستفصال عند الإطلاق، فإن كان المعنى المراد صحيحاً موافقاً لما ورد في الكتاب والسنة قبل وإلا رد.⁽³⁾

ثانياً موقفه من وحدانية الله استدلل ابن حزم على إثبات الوحدانية بأن الله - تعالى - خالق للعالم،⁽⁴⁾ وأنه ربه ومالكة وبيده ملكوت كل شيء، ولا يدل هذا على وحدانيته، وتفرده بالألوهية دون سواه، وليس هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ويستدل على هذا بدلالة التمانع، وقد دل القرآن على ذلك

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء، ص 277-280.

(2) نفسه، ص 281.

(3) ابن حزم، المحلى، ص 175، 176.

(4) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 105-108.

بأدلة تتجه إلى العقل والحس معا عن طريق النظام والعناية والتدبير الموجود في الكون، حيث يستحيل وجود ذلك عن أكثر من إله.⁽¹⁾

ثالثا: رأيه في مسألة الاستواء: قال ابن حزم -رحمه الله- في تفسير قوله - تعالى -: "الرحمان على العرش استوى"⁽²⁾: وقد تأول الناس في هذه الآية تأويلات أربعة، أولها: قول المجسمة وهو بين فساده، والثاني: قالته المعتزلة: هو أن معناه استولى وأنشدوا: قد استوى بشر على، العراف قال، ابن حزم وهذا فاسد لأنه لو كان ذلك لما كان العرش أولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات ولجاز أن نقول الرحمن على الأرض استوى، لأنه - تعالى - مستول عليها كلما خلق وهذا لا يقوله أحد فصار هذا القول دعوى مجردة بلا دليل فسقط، والثالث: ما قاله بعض أصحاب بن كلاب: إن الاستواء صفة ذات ومعناه نفي الاعوجاج. قال ابن حزم: وهذا القول في غاية الفساد لوجوه: أهمها، أنه -تعالى- لم يسم نفسه ستويا، ولا يحل لأحد أن يسم الله - تعالى - بما لم يسم به نفسه لأن من فعل ذلك فقد أُلحد في أسمائه، والقول الرابع في معنى الاستواء هو: أن معنى قوله - تعالى - على العرش استوى أنه فعل فعله في العرش، وهو انتهاء خلقه إليه فليس بعد العرش شيء.⁽³⁾

ويبين ذلك أن رسول الله (ص). ذكر الجنات، وقال: " فاسألوا الله الفردوس الا علي فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن "⁽⁴⁾ فصح أنه ليس وراء العرش خلق، وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق

(1) ابن حزم، المحلى، ص 473.

(2) سورة طه: الآية (5).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 291.

(4) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حديث 8، ط1، المكتبة الثقافية، بيروت، ص 69.

يقول الدهرية، وفارق الإسلام، والاستواء في اللغة يقع على الانتهاء قال الله - تعالى -: " ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكما وعلما ".⁽¹⁾ فلما انتهى إلى القوة والخير وقال - تعالى -: " ثم استوى إلى السماء وهي دخان ".⁽²⁾ أي أن خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هي عليه: وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عدها ".⁽³⁾

ويرى البعض عدم صحة هذا المذهب لمخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة ومذهبهم في ذلك: إن الله - تعالى - مستو على عرشه بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله وكمال عظمته، فقال: خلق فوق عرشه: الذي هو فوق جنته.⁽⁴⁾

رابعاً: رأيه في مسألة العرش وحملته:

يقول ابن حزم في قوله تعالى: "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية".⁽⁵⁾ فقوله الحق نؤمن به يقينا والله أعلم بمراده في هذا القول ولعله عنى السموات السبع والكرسي فهذه ثمانية أجرام هي يومئذ والآن بيننا وبين العرش ولعلمهم أيضا ثمانية ملائكة والله أعلم نقول ما قال ربنا - تعالى - ونقطع أنه حق يقين على ظاهره وهو أعلم بمعناه ومراده، وأما الخرافات فلسنا منها في شيء ولا يصح في هذا خبر عن رسول الله ولكننا نقول هذه غيوب لا دليل لنا على المراد بها لكننا نقول آمنا به كل من عند ربنا. وكل ما قاله الله - تعالى - فحق ليس من شيء منافيا للمعقول بل هو كله قبل أن يخبرنا به - تعالى - في حد الإمكان عندنا ثم إذا أخبر به صار واجبا حقا يقينا وقد قال - تعالى -: " الذين يحملون العرش ومن حوله "⁽⁶⁾

(1) سورة يوسف: الآية (22).

(2) سورة فصلت: الآية (11).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 288-290.

(4) ابن خزيمة، كتاب التوحيد، راجعه: محمد خليل هراس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م، ص 101.

(5) سورة الحاقة: الآية (17).

(6) سورة غافر: الآية (7).

فصح يقينا أن للعرش حملة وهم الملائكة المنقادون لأمره - تعالى - كما نقول أنا أحمل هذا الأمر أي أقوم به وأتولاه وقد قال - تعالى - أنهم يفعلون ما يأمرون. وأنهم ينتزلون بالأمر وأما الحامل للكل والممسك للكل فهو الله قال تعالى: **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزل ولنن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده.**(1)(2)

يرى البعض أن ابن حزم -رحمه- متردد في تفسيره لحملة العرش فهو في البداية يرى أنه موضوع غامض حيث يقول: (والله أعلم بمراده، وربما تكون ثمانية أجرام) ثم رجع وجزم أن حملة العرش ملائكة حيث قال فصح يقينا أن للعرش حملة وهم الملائكة المنقادون لأمره - تعالى -، وكان الأجدى به حمل النص على ظاهره الموافق لمذهبه، والذي أجمع عليه جمهور المفسرين، وهو أن حملة العرش ملائكة.(3)

خامسا: رأيه في مرتكب الكبيرة:

ذكر ابن حزم موقفه من مرتكب الكبيرة، والذي لا يخالف موقف أهل السنة والجماعة، فهو لا يكفر مرتكب الكبيرة، ويبقى الباب أمامه مفتوحا للتوبة ويقول في ذلك: " من لقي الله وله كبيرة لم يتب منها فأكثر، فالحكم في ذلك الموازنة، فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئاته، فإن كبائره وسيئاته كلها تسقط وهو من أهل الجنة لا يدخل النار، ومن استوت حسناته مع كبائره وسيئاته، فهؤلاء أهل الأعراف ولهم وقفة، ولا يدخلون النار، ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيئاته بحسناته، فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من ذنوب، فمن لفحت واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة في النار، ثم يخرجون منها إلى الجنة بشفاعه رسول الله، وبرحمة الله.(4)

سادسا: رأيه في أساء الله الحسنى:

(1) سورة فاطر: الآية (41).

(2) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 291، 292.

(3) نفسه، ص 82، 83.

(4) نفسه، ص 81.

يوافق ابن حزم المعتزلة في إثبات الأسماء التي سمي الله بها نفسه مجردة فلا يشتق له منها صفات، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة حيث يثبتون له الأسماء ويشنتقون له منها صفات، لأنها ليست أعلاما محضة.(1)

سابعاً: موقفه من قضية خلق القرآن:

قال ابن حزم - رحمه الله-: " ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وقوعاً مستويًا صحيحاً وهي:

- 1- الصوت المسموع يسمى قرآناً حقيقة لقوله - تعالى-: **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**. (2) فصح بهذا أن المسموع وهو الصوت الملفوظ به وهو القرآن حقيقة وهذا مخلوق.
- 2- والملفوظ صوت القارئ يسمى قرآناً وكلام الله على الحقيقة والمعبر عنه في القرآن كله مخلوق.
- 3- المصحف كله يسمى قرآناً، فالورق، والمداد المكون منه المصحف، وحركة اليد في خطه كل ذلك مخلوق.
- 4- المستقر في الصدور يسمى قرآناً، واستقرار القرآن في الصدور عرض والأعراض مخلوقة.
- 5- علم الله لم يزل وهو كلامه غير مخلوق. (3)

فمن الخمسة أربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يجز البتة لأحد أن يقول إن القرآن مخلوق ولا أن يقال إن كلام الله غير مخلوق لأن قائل هذا كاذب إذ أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله. ووجب ضرورة أن يقال: إن القرآن لا خالق له ولا مخلوق و إن كلام الله -

(1) ابن حزم، المحلى، ص 473.

(2) سورة التوبة: الآية (6).

(3) ابن حزم، المحلى، ص 252، 253.

تعالى- لا خالق ولا مخلوق لأن الأربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز أن تطلق على القرآن ولا على كلام الله - تعالى- اسم خالق، ولأن المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز أن توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب أن يطلق نفي تلك الصفة التي للبعض على الكل، وكذلك لو قال قائل: إن الأشياء كلها مخلوقة أو قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لأن الله - تعالى- شيء موجود حق ليس مخلوقا، لكن إذا قال الله - تعالى- خالق كل شيء جاز ذلك لأنه قد أخرج بذكر الله - تعالى- أنه الخالق في كلامه الإشكالي، ومثال ذلك: أن ثيابا خمسة أربعة منها حمر والخامس غير أحمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا وكان من قال هذه الثياب ليست حمر صادقا.⁽¹⁾

قال ابن حزم هذه حقيقة البيان في هذه المسألة الذي لم نتعد فيه ما قاله الله - تعالى-⁽²⁾

يظهر لنا من خلال عرض مذهب ابن حزم في كلام الله - تعالى- أنه قريب من مذهب السلف، فكل ما ذكر ابن حزم عند التفصيل أنه مخلوق فالسلف لا يخالفونه فيه، ولكنهم لا يقولون كقوله بأن أربعة أشياء التي يعبر بالقرآن عنها مخلوقة، بل يفصلون، فما كان فعلا للعبد فمخلوق وما ليس بفعل له فغير مخلوق.⁽³⁾

ثامنا: موقفه من رؤية الله: يرى ابن حزم أن الله - تعالى- يراه المسلمون يوم القيامة لقوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»⁽⁴⁾ ولما ورد عن جرير بن عبد الله، عن رسول الله: قال " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته " ⁽⁵⁾، ويقول: إن الآية والأحاديث الصحاح المأثورة في رؤية الله - تعالى- يوم القيامة موجبة للقبول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها، ويرى أن هذه الرؤية

(1) نفسه، ص 254.

(2) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 17، 18.

(3) ابن حزم، المحلى، ص 256.

(4) سورة القيامة: الآية (22-23).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، حديث 547، ص 209.

حقيقية، وأنها كرامة للمؤمنين، وليست معرفة القلب، لأن معرفة القلب حاصلة في الدنيا لجميع العارفين بالله - تعالى - .⁽¹⁾ ورؤية الله - تعالى - التي ستحصل للمؤمنين في الآخرة لا تكون في الدنيا، وليست تلك الرؤية بهذه القوة الموضوعة في العين الآن، والتي لا تقع إلا على الألوان، وإنما هي بقوة موهوبة من الله تعالى يجعلها في أعين من سيراه وهي كالتالي وضعها الله -تعالى- في أذن موسى حتى سمع كلامه.⁽²⁾ ويقول بعدم رؤية الكفار الله - تعالى - إلا بقلوبهم لقوله: «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون».⁽³⁾

هذا هو مذهب ابن حزم في رؤية الله، ومن يرى الله - تبارك وتعالى - وهو ما عليه سلف الأمة وأئمتها وأدلة جواز الرؤية ووقوعها كثيرة جدا ومناقشة من نفاها لا داعي له في هذا الموضوع.⁽⁴⁾

تاسعا: مذهب ابن حزم في قضاء الله وقدره:

هو مذهب المؤمنين بقضاء الله وقدره الذين يفعلون الأمور، ويتعدون عن المحذور، ويصبرون على المقدر، وإذا أصابتهم مصيبة في الأرض أو في أنفسهم علموا أن ذلك في كتاب، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأ لهم لم يكن ليصيبهم، فيسلمون الأمر لله ويصبرون على ما ابتلاهم به معتقدين أن القدر خيره وشره من الله - تعالى -، وهذا هو المذهب الحق الذي تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة، والذي عليه أهل السنة والجماعة.⁽⁵⁾

عاشرا: رأيه في فناء الجنة والنار:

(1) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 10.

(2) نفسه، ص 8.

(3) سورة المطففين: الآية (15).

(4) ابن حزم، المحلى، ص 384.

(5) ابن حزم، المحلى، ص 385، 386.

يرى ابن حزم أن الجنة والنار لا تغنيان وفي هذا يقول: " لا تغنى الجنة ولا النار ولا أحد ممن فيهما أبداً، وبرهان ذلك قول الله « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ»⁽¹⁾⁽²⁾، ورأي ابن حزم هو نفس رأي أهل السنة والجماعة.⁽³⁾ "بها الله من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى".⁽⁴⁾ ومن أدلته أيضا قوله - تعالى-: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون».⁽⁵⁾

المطلب الثاني: المناقشة.

المذهب الذي ذهب إليه ابن حزم في عدم إثبات الصفات لله - تعالى - ، وعدم جواز إطلاق لفظ الصفة أو الصفات له - تعالى -، وجواز تسميته بما سمي به نفسه من غير أن يشتق له من تلك الأسماء صفات، هو ما ذهب إليه المعتزلة حيث لا يثبتون لله - تعالى - صفات قديمة أصلاً، ولا ينفون الأسماء. بل يثبتونها لله - تعالى - ويسمون بها. وإن كان ابن حزم لا يلتزم نفس استدلالهم على النفي. لكنه يتفق معهم في النتيجة، إذ نفهم للصفات القديمة فرار من تعدد القدماء مع الله - تعالى - لأن القدم أخص

(1) نفسه، ص 413.

(2) سورة هود، الآية (108).

(3) ابن حزم، المحلى، ص 30.

(4) سورة النجم: الآية (23).

(5) سورة الصافات: الآية (180).

صفاته، وفي إثباتها معه مشاركة في الإلهية على زعمهم.⁽¹⁾ ونفي ابن حزم لمذهبه الظاهري، وإبقاء على ظاهرية الأسماء وردت بالنص وجعلها ألفاظ فارغة من المعاني بمنزلة أصوات لا تفيد شيئاً، أما استدلاله على النفي بقوله - تعالى - « إن هي إلا لا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان»⁽²⁾ الآية لا تدل على ما ذهب إليه والمقصود بالأسماء في الآية هي معبودات المشركين وقد ذكر في سياق الآيات، اللات، والعزى، ومناف.

أو استدلاله الآخر على النفي بقوله - تعالى -: " سبحان ربك رب العزة عما يصفون". فليس فيها دلالة على نفي صفات الله - تعالى -، وإنما فيها تنزيه الله - تعالى - وتقديسه عن كل ما لا يليق بالصفات الإلهية، وفي الآية إثبات ما استدل على نفيه ففي قوله "رب العزة" وصفه بكل ما يليق بإلهيته، فليس في الآيتين ما يدل على نفي الصفات عن الباري - تعالى - كما استدل ابن حزم رحمه الله- ويشار أنه لم يثبت على هذا المذهب فقد قال بخلافه فقد أثبت أن لله صفات، حيث ذكر في كتابه الفصل: "ومن البرهان على أن النزول صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله. علق التنازل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ"⁽³⁾ وكذلك أيضاً في كتابه الأصول والفروع في أثناء رده على الجهمية القائلين بخلق القرآن: "وكلام الله - تعالى - صفة قديمة من صفاته، ولا توجد صفاته إلا به ولا تبين منه... وكلام الله لا ينفد ولا ينقطع أبداً، لأن كلامه صفة من صفاته - تعالى - تنفذ ولا تنقطع ولا تفارق ذاته."⁽⁴⁾

(1) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 128.

(2) سورة النجم: الآية (23).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، ص 357.

(4) ابن حزم، الأصول والفروع، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 395.

يخالف ابن حزم الصواب حين يرى أن من توحيد الله - تعالى - ونفي التشبيه عنه نفي الجسمية والعرضية والزمانية والمكانية والحركة والصواب عدم النفي المطلق في مثل هذه الألفاظ المجملة فيجب الاستئصال عن المقصود بالنفي والإثبات . فإن كان المقصود صحيحا قبل والإراد. يوافق ابن حزم المعتزلة في إثبات الأسماء التي سمى الله بها نفسه مجردة فلا يشتق له منها صفات. والصحيح خلاف ذلك، فيثبت له الأسماء ويشتق له منها صفات لأنها ليست أعلاما محضة فهو حي ب حياة، وعالم بعلم وقادر بقدرة وسميع وبصير بسمع وبصر، صفات له حقيقة على ما يليق بجلاله، وكل صفة منها تدل على معنى يخالف ما تدل الصفة الأخرى وتعلقات تخالف تعلقاتها. أما موقف ابن حزم من صفات الله تفصيلا ما له وما عليه فسنورد مثالين من الصفات الخبرية سواء الذاتية أو الفعلية، لأنهما أكثر وضوحا في توضيح منهج ابن حزم من صفات الله، والرد عليه وفق منهج السلف الصالح.(1)

(1) نفسه، ص 396.

خاتمة

الخاتمة:

✓ ففي ختام هذا البحث - المتواضع - يطيب لي أن أذكر ما فتح الله به علي من نتائج بعد الجمع

والتأمل والدراسة والمقارنة لشخصية ابن حزم من آراء ومنهج وعقيدة وهي على النحو التالي:

✓ إن الإمام ابن حزم - رحمه الله - من جملة الأئمة الإجماع الذين لهم حظ وافر في التفسير، بما

حياه الله من غزارة العلم، ودقة الفهم، وقوة الذاكرة، وعلو الهمة.

- ✓ خدمة جانب مقارنة الأديان في إنتاج ابن حزم الفكري، وهو مجال إبداعي عند هذا الإمام الجليل، مع العلم بأن هذا الجانب لم يحظى عندنا بما يستحق من البحث.
- ✓ توضيح مواقف ابن حزم العقائدية التي أثارها بين دراسته (الصفات)، مع نقد ما هو مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- ✓ سلك ابن حزم في منهجه في التفسير أقوم السبل، فجعل الأصل، تفسيره لكلام الله تعالى، ثم كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لغة العرب التي أخبر الله تعالى أنه بها أنزل القرآن.
- ✓ تميز ابن حزم بالأخذ بظاهر النصوص، وهذا أمر محدود في الأصل، واليه يدعو عامة أهل العلم، لكنه أسرف في ذلك حتى نفى القول بالقياس، وترك تعليل النصوص، واعتبرها كلها تعبدية.
- ✓ خالف ابن حزم منهجه الظاهري في تفسيره لآيات الصفات، حيث بالغ في نفي الصفات التي ثبتت بظاهر الكتاب والسنة، حتى إنه جعل الأسماء الحسنى لا تدل على المعاني، فلا يدل "عليم" على علم، ولا "قدير" على قدرة، بل هي عنده أعلام محضة.
- ✓ تميز أسلوب ابن حزم بوضوح العبارة وسهولة المنطق، والبعد عن التعقيد مع استرساله وطول نفسه في العرض والتوضيح.
- ✓ اعتمد في منهجه على الصحيح من الأحاديث والآثار، ورفض الضعيف، وقد شهد له العلماء بالتمكن في التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف - رحمهم الله - وافق الجمهور في أغلب المسائل التي تمت دراستها، حيث بلغ عدد المسائل التي وافق عليها فيها الجمهور ستاً وأربعين مسألة، وخالفهم في أربع عشرة مسألة، وانفرد بمسألتين.

✓ إن ظاهرية ابن حزم لم تكن مساوية كلها، بل فيها من المحاسن ما أشاد به المنصفون من أهل العلم، ومن ذلك القول: «بأنه أحيا علم الكتاب والسنة»، فكان من أشد الناس تعظيما لهذين الأصلين.

✓ التعرف على العالم ابن حزم الأندلسي على اعتباره أنه أول فقيه مسلم.

وختاما فإني أسأل الله الحليم الكريم، رب العرش العظيم أن يختم لنا بخير، وأن يجعل عواقب أمورنا إلى الخير، وأن يجعل أعمالنا سالحة ولوجهه خالصة، وأن يوفقنا لما يرضاه من القول والعمل إنه سميع مجيب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فهرس المصادر و المراجع:

ا. القرآن الكريم.

اا. المصادر:

- ابراهيم الخراساني، فرائد السمطين في فضائل المرتضى، تح: محمد المحمودي، ط1، مكتبة التراث و الفكر الاسلامي، مصر 1398هـ/1978م.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1407هـ/1987م.
- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهاءهم و أدباءهم، ط2، مكتبة الحانجي، القاهرة 1994م.
- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ج1، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت 1490 هـ/ 1980م.
- ابن حجر، تقريب التهذيب، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417هـ/ 1997م.
- ابن حجر، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، مكتبة المطبوعات الاسلامية، القاهرة 1423هـ/ 2002م.
- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1403هـ/ 1983م.
- ابن حزم، الأخلاق و السير في مداواة النفوس، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1979م.
- ابن حزم، الأصول و الفروع، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف، تح: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة.
- ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء، تح: عبد الرحمان خليفة، مج1، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1347هـ.
- ابن حزم، المحلى بالآثار، تح: حسان عبد المنان، ج2، دار الفكر، بيروت.

- ابن خزيمة، كتاب التوحيد، راجعه: محمد خليل هراس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ج3، ط3، دار صادر، بيروت 1972م.
- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: محمد علي بجاوي، مج2، دار الجيل، بيروت 1412هـ/1992م.
- ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي، ج1، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة.
- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة، بيروت 1980م.
- ابن مفلح، المقصد الأرشد، تح: عبد الرحمان العثيمين، ج 2، ط1، مكتبة الرشد، السعودية 1410هـ/1990م.
- أبو بكر العربي، العواصم من القواسم، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.
- أبو الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة 2007م.
- أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ/ 1990م.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمان المرعشلي، وآخرون، ط2، دار المعرفة، بيروت 1415هـ/1994م.
- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ج1، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1383هـ/ 1963م.
- جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع، تح: مختار ابراهيم و اخرون، ط 2، مج 6، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة 1426هـ/ 2005م.
- جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1403هـ.
- شمس الدين الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ج18، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت 1417هـ/ 1996م.
- شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.

- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو، ط1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1330هـ.
 - صديق القنوجي، أبجد العلوم، تح: أبو عبد الرحمان سعيد معشاشة، ط 1، دار ابن حزم، بيروت 1431هـ.
 - الطبري، تاريخ الطبري، تح: محمد ابراهيم، مج6، ط2، دار المعارف، القاهرة 1387هـ/1967م.
 - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار المعرفة، بيروت 1988م.
 - عبد الحي بن أحمد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط، محمد الأرنؤوط، ط 1، دار ابن كثير، بيروت 1406هـ/1986م
 - عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988.
 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، المكتبة العصرية، بيروت 1426 هـ/2006م.
 - القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة.
 - القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: ابن تاويت الطنجي، ط1، مطبعة فضالة، المغرب 1965م.
 - المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، تح: صفوت السقا، بكري الجباني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
 - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تلخ: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج4، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1416هـ/1996م.
 - محمد الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984م.
 - المقرئ التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تح: يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت 1998م.
 - ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ط3، دار الفكر، بيروت 1980م.
- III. قائمة المراجع:**
- ابن عقيل الظاهري، ابن حزم خلال ألف عام، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1402هـ/1982م.
 - أبو عبد الله محمد بن حارث الحسني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقيا، ط 3، مكتبة الخانجي القاهرة، 1415هـ/1994م.

- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ط1، دار المعرفة، بيروت 1406هـ/ 1986م.
- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 1998م.
- خالد الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ط1، دار الأرقم للطباعة والنشر، غزة 2000م.
- سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1986م.
- سعيد الأفغاني، مقدمة رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم، ط1، دار الفكر، بيروت 1969.
- صلاح الدين بسيوني رسلان، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.
- طه بو سريح، المنهج الحديثي، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت 2001م.
- طه الحاجري، ابن حزم صورة اندلسية ط1، دار الفكر العربي للطبع و النشر، القاهرة.
- عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط1، دار الاعتصام، القاهرة 1979م.
- عبد الرحمان الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط3، دار القلم، دمشق 1987م.
- مؤلف مجهول، من تلاميذ الذهبي، من أعيان القرآن الثامن المورد الأهل في اختصار المحلى، فقه، نسخ معتاد، مكة المكرمة: مكتبة الحرم الملكي الشريف، نسخة مصورة.
- محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1978م.
- محمد الأمين بن المخطار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، اعتنى به: صلاح الدين العلايلي، ط1، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1417هـ/ 1992م.
- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1982م.
- مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، ط3، دار ابن الجوزي، الدمام 1420هـ/ 1999م.

- ناصر بن حمد الفهد، الجرح والتعديل عند ابن حزم، ط1، أضواء السلف، الرياض 1423هـ/ 2003م.

IV. المقالات:

- ابن عقيل الظاهري، ابن حزم، مجلة الفيصل، السنة الثالثة، ع 26، سنة 1399هـ.
- محمد عزة الطهطاوي، من أعلام القرن الخامس الهجري، مجلة الأزهر، ع8، القاهرة 1988م.

V. مواقع شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

- موقع الجمعية الاسلامية
كتاب. <http://www.arabandalucia.com/index.php/1699> الاثنيين
2015/03/23.

VI. الرسائل الجامعية:

- حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع6، 1988م.
- طاهر بن علي، ابن حزم وظاهرة التجديد، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001م- 2002م.
- عبد السلام سعد، ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2008م- 2009م.
- علي بن محمد باروم، مسالك الترجيح التي ردها ابن حزم، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة جامعة أو القرى، مكة 1417هـ/ 1997م، ص 77-79.

فهرس الأعلام:

الأعلام:	الصفحة:
إبراهيم بن حجاج.....	8.
محمد بن الوليد الطرطوشي.....	32.
أحمد بن محمد بن عبد الوارث.....	30.
أبو قسمنة.....	18.
أبو القاسم الأزدي.....	25،29.
أبو زيد الأزدي.....	26،27.
أبو الحسن الأشعري.....	28.
أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي.....	28.
أبو الخيار اللغوي.....	30.
أبو الريحان البيروني.....	28.
أبو رافع الفضل.....	32.

ابن حزم.....	10،11، 15، 19، 21، 23، 24، 25، 27، 28، 31، 32.
ابن بشكوال.....	25.
ابن خلکان.....	25.
ابن حجر.....	25.
ابن أبي عامر.....	26.
ابن الجسور.....	31
ابن الدلائلي.....	31
ابن الفرضي.....	30.
حسان محمد حسان.....	24.
حسان بن مالك بن أبي عبده الوزير.....	30.
حمام بن أحمد.....	29.
الحميدي.....	31
الحكم بن عبد الرحمن.....	9،10
الذهبي.....	25.
سليمان بن الحكم.....	12.
الفتى الجعفري.....	30.
عبد الله بن محمد.....	8.
عبد الرحمن الناصر.....	8،9
عبد الرحمن الداخل.....	8.

- علي بن أحمد.....12.
- عبد الله بن الربيع.....29.
- عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون.....30.
- عبد الله محمد.....32.
- المستنصر.....10.
- المنصور.....11.
- المنذر بن محمد.....8.
- محمد ابن أبي عامر.....10.
- محمد بن هشام.....12.
- محمد المهدي.....12.
- المقري.....25، 17.
- محمد المهدي.....26.
- محمد بن سعيد ابن بيان.....29.
- مسعود بن سليمان.....30.
- محمد بن جرير الطبري.....31.
- محمد بن الحسن المذحجي.....31.
- محمد بن الوليد الطرطوشي.....32.
- يعقوب بن علي.....32.
- يونس بن اللبن ربيع التميمي.....29.

ياقوت الحموي.....25.

يحي بن مسعود.....29.

فهرس الأماكن:

الأماكن:	الصفحة:
اشبيلية	8، 14.
إسبانيا	14.
قرطبة	13، 18، 26، 29، 31، 34، 35، 36.
بلنسية.	35، 36.
الأندلس	7، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 21، 35، 37.
ألمرية.	21، 34، 35.
شمال إفريقيا.	7.
أوروبا.	7.
غرناطة	14، 36.
القيروان.	34، 37.
المغرب.	34.

شاطبة.....	37، 36
ميورقة.....	38
تونس.....	59
لئلة.....	73
فرنسا.....	16

فهرس الآيات:

الآيات:	الصفحة:
✓ سورة النساء: الآية (141)	68.....
✓ سورة النساء: الآية (145)	64.....
✓ سورة النساء: الآية (150)	69.....
✓ سورة النساء: الآية (172)	79.....
✓ سورة النساء: الآية (176)	76.....
✓ سورة المائدة: الآية (1)	65.....
✓ سورة المائدة: الآية (3)	66،72،74.....
✓ سورة المائدة : الآية (4)	66،73.....
✓ سورة المائدة: الآية (5)	75.....
✓ سورة التوبة: الآية (6)	100.....
✓ سورة هود: الآية (25)	64.....
✓ سورة هود: الآية (108)	103.....
✓ سورة يوسف: الآية (22)	98.....
✓ سورة النحل: الآية (91)	65.....
✓ سورة طه: الآية (5)	97.....

- ✓ سورة الشعراء: آية (195).....75.
- ✓ سورة الأحزاب: الآية (5).....59.
- ✓ سورة فاطر: الآية (41).....99.
- ✓ سورة الصافات: الآية (180).....103.
- ✓ سورة غافر: الآية (7).....98.
- ✓ سورة غافر: الآية (42).....64.
- ✓ سورة فصلت: الآية (11).....98.
- ✓ سورة النجم: الآية (23).....103،104.
- ✓ سورة الحاقة: الآية (17).....98.
- ✓ سورة القيامة: الآية (23-22).....102.
- ✓ سورة المطففين: الآية (15).....102.

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....	أ-هـ.
فصل تمهيدي.....	7.
مرحلة الفتح.....	7.
قيام الدولة الأموية عصر الازدهار.....	8.
عصر التدهور الأول.....	8.
عودة القوة و إعلان الخلافة.....	9.
عصر الدولة العامرية.....	10.
سقوط الخلافة الأموية.....	12.
عصر ملوك الطوائف.....	13.
الحياة الاجتماعية.....	16.
فضل أهل الأندلس.....	16.

18.....	التقسيم الطبقي في المجتمع الأندلسي
19.....	الحياة العلمية
23.....	الفصل الأول
23.....	لقبه و نسبه
25.....	المولد و النشأة
27.....	وفاته
27.....	مساره العلمي
28.....	شيوخه و تلامذته
32.....	رحلاته العلمية
36.....	مؤلفاته
44.....	مكانة ابن حزم العلمية
44.....	مؤيدوه
48.....	معارضوه
53.....	الفصل الثاني
53.....	أراء ابن حزم
63.....	منهجه في تفسير القرآن
77.....	أشهر مسائل الخلاف الكلامية

80.....	موقف ابن حزم من الفرق الاسلامية.
84.....	الفصل الثالث.
84.....	المذهب الظاهري.
87.....	خصائص المذهب الظاهري.
95.....	عقيدة ابن حزم.
107.....	خاتمة.
109.....	فهرس المصادر و المراجع.
114.....	فهرس الأعلام.
118.....	فهرس الأماكن.
119.....	فهرس الآيات.
121.....	فهرس الموضوعات.
124.....	المختصرات.

